كتابات الرحالة مصدر تاريخي

د. علي عفيفي غازي

كتابات الرحالة مصدر تاريخي

المؤلف
د.علي عفيفي علي غازي

262

ⓗ المجلة العربية، 1439هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
غازي، علي عفيفي علي
كتابات الرحالة.. مصدر تاريخي. / علي عفيفي علي غازي.- الرياض، 1439هـ
118ص؛ 21×14سم. - (كتاب المجلة العربية؛ 262)
ردمك: 978-603-8204-53-5
1 - الرحالة الغربيون 2 - أدب الرحلات أ.العنوان ب.السلسلة
أ.العنوان ب.السلسلة
ديوي 915.300104 1439 / 8313

رقم الإيداع: 1439 / 8313
ردمك: 978-603-8204-60-3

المحتويات

المقدمة

منــذ اللحظة الأولى التي دبّ فيها الإنسان على الأرض، ارتبط مفهوم الزمن لديــه بمــا يجري من تغــيرات في العالم الــذي يعيش فيه، ومن ثــم بدأ يبحث عــن وسيلــة لتدوين ما يمر به من أحداث؛ لأنه أدرك أنه لا غنى له عن تدوين مسيرتــه الحضارية، وكان هذا ميلاد ما نطلق عليــه (المعرفة التاريخية)[1].

ومــن هنا نشأ علم التاريــخ في محاولة لكشف غموض الماضي، وتطور المسيرة البشرية، وكان اللغز الأول الذي واجه الإنسان عندما بدأ يفكر في التاريخ هو كيف وجــد؟ ولماذا؟ وهذا ما دفعه إلى الأساطــير ليبحث عن حل لهذا اللغز، فكانــت الأسطورة أول إنتــاج للعقل البشري في هذا السبيل، وفي رحمها ولدت كل علوم البشر.

ومنــذ أن أخذت الأرض زُخرفها وازينت، ومارســ الإنسان دوره في إعمارها، وانقســم، بعــد أن تكاثر عليها، بــين قاراتها، وتوزع ليظهــر بقومياته، بعد أن توسعت مداركه ومعارفه، وعرف كيف يتعامل مع ما يدور حوله، وتطور فأنشأ حضاراتــه، وارتقى بعدما ابتكر الكتابة، فأخذ يدوّن ما يعنيه في حياته، شيئاً فشيئــاً، ومــا يحدث لــه أو يقابله، ليبــدأ تاريخه المكتوب، الــذي وجدت آثاره الأولية، فيما وجد، بين مخلفاته من ألواح مكتوبة في مواقع حضاراته القديمة بوادي الرافدين، ومهد الفراعين، وغيرهما.

ومنــذ أدرك الإنسان، واكتشف أن العالم الــذي يعيش فيه مترامي الأطراف، متنوع الأعراق، متباين الألسن واللغات، متعدد الثقافات والحضارات، غنيّ في تقاليــد أقوامه وغرائب طبائع شعوبه، كان عليه أن يرتحل ليكتشف ذلك كله، ويرى ذاتــه في مرآة الآخرين؛ يحدوه فضول المعرفة وطلب العلم حيناً، وشوق

(1) أنــا تولي راكيتــوف: المعرفة التاريخية، حنا عبــود (ترجمة)، (دمشق: دار دمشــق للطباعة والصحافة والنشر، 1989) ص 25 وما بعدها.

المغامـرة والسفـر لرؤية بقاع جديـدة حيناً آخر، فارتحل للتعـرف إلى بيئات مختلفـة عن بيئته التي انطلق منهـا، ومن هذا الاختلاف وجد أفقاً جديداً في النظر إلى الحياة، وسبيلاً مختلفاً من سُبل صقل روحه التواقة للكمال، الذي يبقـى حُلمـاً لا يُبلغ، أو كما يقول ابن خلدون في مقدمتـه: «فالرحلة لابد منها في طلب العلم، ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال».[1]

(1) عبدالرحمـن بن محمد بن خلـدون الحضرمي: المقدمة (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د. ت.) ص 541.

الرحلة والرحالة وفوائد الارتحال

إذا اعتبرنا أن ما تحتله كلمة ما في المعاجم اللغوية دليل على أهميتها، فإن مادة (رحل) نالت اهتماماً خاصاً باعتبارها متداولة على نطاق واسع، ونابعة من واقع البيئة العربية. جاء في لسان العرب[1] أن: الرحيل، والارتحال بمعنى السفر والسير والانتقال، ويقال رجل رحال: أي في تنقل دائم. والرحلة اسم للارتحال[2]. والرحلة الجهة التي يقصدها المسافر، فيقال مكة رحلتنا[3]. وصيغة المبالغة: رحال، وقد تزاد التاء للمبالغة، فيقال: (رحالة)، ولكن هذه الصيغة تختلط مع جمع التكسير حين نقول: (الرحالة المسلمون)[4]. فالرحالة اصطلاح يطلق على الرجل الذي يخرج إلى بلد آخر أو أكثر، للتعرف عليها.[5]

ورد في دائرة المعارف الإسلامية أن: «الرحلة هي انتقال فرد أو جماعة، أو عائلة أو قبيلة، أو أمة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة، وأسباب متعددة...، كجدب بلادها وضيقها دونهم، أو لاضطهاد وقع عليهم، أو على إثر حروب أتلفت أرزاقهم، وأسباب معيشتهم، ونحو ذلك من الأسباب، سميت رحلتهم مهاجرة... وإن كان... لقصد الكسب بالحروب وشن الغارات ونحو ذلك سميت

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، عبدالله علي الكبير وآخرون (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، د. ت.)، ص 1608 - 1611.

(2) أنطوان نعمة (وآخرون): المنجد في اللغة العربية المعاصرة، (بيروت: دار المشرق، 2000)، ص 539، 540؛ الفراهيدي: الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001)، ص 342.

(3) جلال السعيد الحفناوي: (الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الأدب الأردي)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الثاني، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000)، ص 849.

(4) ناصر عبدالرازق الموافي: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، (القاهرة: دار النشر للجامعات، 1999)، ص 23، 24.

(5) يحيى عبدالرؤوف جبر: (شمال شبه الجزيرة العربية في مصنفات الرحالة)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000)، ص 289، 290.

غـزوة. وإن كان... لكشف أمور علمية أو تاريخيـة أو جغرافية أو لمجرد التفرج أو النزاهـة، وما يتعلـق بذلك سميت رحلة أو سياحة... وإن كان لمجرد اكتساب الرزق والانتجاع في بلاد بقصد الرجوع إلى الوطن سميت سفراً أو تغرباً».[1]

وعدّهـا أحد الباحثين: «إنجـازاً أو فعلاً فردياً أو جماعيـاً لما يعنيه اختراق حاجز المسافة، وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر، ويتأتى هذا الإنجـاز من أجل هدف معين، ويجاوب هذا الهـدف إرادة الإنسان، وحركة الحيـاة على الأرض بشـكل مباشر أو غير مباشر. وقد تكـون الرحلة هواية تشبـع حاجـة الإنسان وترضيـه، وقد تكـون احترافاً يخدم حاجـة الإنسان ويشبعـه، ولكنهـا، في الحالتين، استجابـة مباشرة لحوافـز ودوافع محددة تدعو بكل الإلحاح للحركة والتنقل».[2]

وتكاد تُجمـع التعريفات السابقة على أن الرحلة في جوهرها حركة وانتقال، سعيـاً وراء هدف قـد يتحقق وقد لا، لكنها في كلتا الحالتين، تُكسب خبرات. وأيـاً ما كان الغرض منها فإنها سلوك إنسـاني حضاري يؤتي ثماره النافعة علـى الفرد وعلى الجماعـة، فليس الشخـص بعد الرحلة هـو نفسه قبلها، وليست الجماعة بعد الرحلة هي ما كانت عليه قبلها.[3] والحركة مكون أصيل من مكونات الإنسان، لأنها «دليل الحياة، والسكون من دلالات الموت».[4]

وما يميز الرحلة عن غيرها أنها غاية لذاتها، أي أنها حركة من أجل الحركة

---

(1) أميرة جبر: الرحالة الفرنسيون في موطن الأرز، دراسات وانطباعات عبر القرن التاسع عشر (1798-1918)، (بيروت: مؤسسة خليفة للطباعة، 1993)، ص 10.

(2) صـلاح الدين الشامي: (الرحلة العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة الجغرافية)، مجلة عالم الفكر، المجلد 13، العدد 4، (يناير 1983)، ص 13.

(3) محمد شفيق أفندي مصطفى: رحلة في قلب نجد والحجاز سنة 1926، محمد محمود خليل (تحقيق)، (بـيروت: الدار العربيـة للموسوعات، 2010)، ص 14؛ جبر: شمال شبـه الجزيرة، ص 290؛ عبدالله المجيدل: (عُمان في أدب الرحالة)، مجلة التراث العربي، العدد 110، (سبتمبر 2008)، ص 137.

(4) شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي: معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، 1977)، ج 2، ص 420.

ذاتهـا ابتداءً، ولأنها حركة أصيلة، فإن الرحالة يتغاضون عن وصف فترات التوقـف والسكـون العارض التي تمر بهـم، بل إن كثيراً منهـم أعلن ضيقه وتبرمـه بالملل الذي يحـل به من جراء طوال المقام في مـكان واحد، غير أن المبـدأ أنـه كلما سمت همة الرحـال إلى زيارة أماكن بعيـدة، جديدة، باذلاً جهـداً محـولاً الحركة المتوسعة أفقياً، فإن ذلك يـدل على سعة أفقه وتوفره علـى طاقـات خلاقة.[1] أمـا القيمة الأدبيـة للرحلة، فتتجلـي «فيما تعرض فيـه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عـالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيـال الفني»[2]، وهي إما واقعية، حيث يقـوم بها الرحالة فعلاً على أرض الواقـع، متنقـلاً بجسده من مكان لآخر، معايناً واصفـاً لما يراه، أو قد تكون خيالية أيضاً.[3]

يستخـدم اصطـلاح (الرحالة) للإشـارة إلى فرد يرتحل مـن منطقة إلى أخـرى، ثـم يعود إلـى وطنه بسجـلات لمغامراتـه، وبملاحظـات ودراسات وانطباعـات عن الأراضـي التي كان فيهـا، وقد تكون سجـلات الرحالة في صورة يوميـات ودراسات جغرافية وخرائط أو ملاحظـات أنثروبولوجية أو ملاحظـات ثقافية أو شخصية أو انطباعات بصرية، أو أي شكل من أشكال التعبـير الفني مثل الرسم أو التصويـر الفوتوغرافي، وبالتالي فإن الاهتمام بالأرض التي تم الرحيـل إليها وبشعبها وثقافتهـا وطبيعتها وكذلك الرغبة والقـدرة على تسجيـل تجارب الرحيل هي أمور ضروريـة لكي يكون أي فرد قائـم بالرحيـل (رحالة)[4]. من الضـروري التنبيه علـى أن الرحالة إنسان

---

(1) الموافي: الرحلة في الأدب العربي، ص 25، 26.

(2) حسنـي محمـود حسـين: أدب الرحلـة عند العرب، (بـيروت: دار الأندلس للطباعة والنشـر والتوزيع، 1983)، ص 8.

(3) حسين محمد فهيم: (المرأة والرحلة)، مجلة سطور، العدد 14 (يناير 1998)، ص 8.

(4) حسـام مهـدي: (تحليـل للمصالح النفطية وأعمـال الرحالين الغربيين)، في كتـاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد

متميز وفريد، ولا أدل على ذلك من تفرد كل رحلة بشخصية مستقلة، وليس معنى التميز أفضلية، بل يعني الاختلاف والتفرد.[1]

أما مصطلح أدب الرحلة، فهو «مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يُشاهدها أو يسرد مراحل رحلته، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد».[2] وعند أحد الباحثين «الرحلة التي يقوم بها رحال إلى بلد من بلاد العالم، ويدون وصفاً لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب».[3] ويُعرفه تاريخ كمبريدج بأنه «جنس أدبي تكون فيه شخصية الكاتب وملكته الأدبية أهم من الموضوع، وهي كتب لا تحتاج إلى تناول أي شيء جديد...، وليس من الضروري... أن تكون تاريخية أو شهيرة في ذاتها، وتكمن قيمتها بالأحرى في أنها تقدم موضوعاً للعمل الأدبي».[4] أو هو «ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة موضوعاً، أو بمعنى آخر، الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة».[5] أو بمعنى آخر «ذلك النثر الذي يصف رحلة أو رحلات واقعية، قام بها رحال متميز، موازناً بين الذات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه».[6]

للثقافة والتراث، 1996)، ص 335.

(1) المواڤي: الرحلة في الأدب العربي، ص 46، 47.

(2) Magdi Wahba: A dictionary of literary terms. (Beirut: Librairie du Liban. 1974). p. 557.

(3) أنجيل بطرس: (الرحلة في الأدب الإنجليزي)، مجلة الهلال، (يوليو 1975)، ص 39.

(4) راشد شاز: الطريق إلى الجزيرة العربية، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007)، ص 11.

(5) سيد حامد النساج: (أدب الرحلات في حياتنا الثقافية)، مجلة العربي، (يناير 1987)، ص 133.

(6) المواڤي: الرحلة في الأدب العربي، ص 41.

وهنـــاك صفتان لابد من توافرهما في أدب الرحلة وهما: «أن يكون من يكتب عن الرحلات رحالاً بطبعه محباً للرحلات، وأن يكتب بالأسلوب الذي يجعل وصفه للرحلة يعكس روح الرحلة والرغبة الشديدة التي تتملكه للقيام بها»[1]. وتأتي أهميــة أدب الرحلة من أنه يصور «تأثر الكاتب بعالم جديد لم يألفه، والانطباعــات التــي تركهــا في نفسه: ناســه وحيواناته ومشاهــده الطبيعية وآثــاره،... فالرحلــة إذن ليست سوى تجربــة إنسانية حيــة يتمرس بها...، فيخرج منها أكثر فهماً، وأصدق ملاحظة، وأغنى ثقافة وأعمق تأملات».[2]

ومــن التعريفــات السابقــة يمكــن الاستنتــاج أن أدب الرحلــة يعتمــد على عــدة أسس، أهمهــا أنه يقوم على رحلــة أو رحلات واقعيــة في زمان ومكان محددين. وأن الذي يقوم بها رحال تمكن حب الرحلة منه، يصف انطباعاته ومشاهداتــه في هــذه الرحلــة. وأن الوصــف يجــب أن يــوازن بــين شخص الرحــال من ناحيــة، والرحلة كموضوع من ناحية أخــرى، دون التركيز على طــرف واحد قد يؤدي إلى الــتردي في شرك العاطفيــة المُسرفة. ويستخدم النــثر المعــبر عن ذات الرحال والحامــل لخصائصه دون تكلــف أو إسراف مــع المحافظة على بنية تكفل تماســك العمل ووحدته، ففي أدب الرحلة سعة ومرونــة قد لا تتوافران لغــيره، بل للرحال أن يختار البنية التي تناسبه، وقد تكــون مبتكرة، وذات معالم واضحة تكفل تحقيق الترابط بين أجزاء العمل، وهو فن قائم بذاته، له أصوله وقواعده الفضفاضة، التي تتيح له قدراً كبيراً مــن المرونة والقدرة على التطــور والتلون حسب مقتضى كل فرد أو عصر أو بيئة. ويهدف إلى التأثير في القارئ والتواصل معه، حيث يستمتع بكل ما فيه، وتزداد ثقافته ومعارفه بطريق غير مباشر أو محسوس.

(1) بطرس: الرحلة في الأدب الإنجليزي، ص 39.

(2) محمد يوسف نجم: فن المقالة، (بيروت: دار الثقافة، 1966)، ص 115.

أما الفرق بين أدب الرحلة والآداب الأخرى، فإننا سنلحظ أن الذي يكتب في حقل من حقول الآداب ملتزم بأن يظل على صلة بذلك الحقل وحده، متناسياً الحديث عن شخصه وأحاسيسه ومشاعره، أما أدب الرحلة فإن كاتب الرحلة يُمكنه أن يقدم معلومات عن نفسه، انطلاقاً من ميلاده وحياته دون أي تكلف أو صناعة أدبية، بالتالي جاءت كتب الرحلات، في أفضل أحوالها، على شكل سرد يومي: توماس وثيسجر، أو تبادل رسائل: جيرتروود بيل. وإذا أردنا أن نوضح الفرق بين تسجيل الرحلة وبين أدب الرحلة، فبينما تعتبر الأولى مجرد ذكر للتفاصيل الواقعية للرحلة، فإن الثانية قالباً أدبياً تتأثر فيه فكرة الكاتب وتجاربه بشخصيته وخياله ونزعاته الأدبية.[1]

وإذا ما حاولنا أن نجد تاريخاً للفترة التي بدأ فيها استعمال عبارة (أدب الرحلة)، ليحل محل كلمة (الرحلة)، الاسم السائد، نجد أن أول من استخدمها هو (كراتشكوفسكي) عندما كتب عن الأدب الجغرافي، في بداية القرن التاسع عشر، فكان ذلك شهادة ميلاد لها.[2]

أما مناهج تدوين أدب الرحلة فهي: التدوين الزمني ويستلزم تدويناً آنياً في شكل مذكرات يومية تدون في فترات منتظمة، لما يصادف الرحالة بشكل منتظم، وفي حالات كثيرة اتخذ التدوين الزمني شكل رسائل من الرحال إلى أصدقائه أو أفراد أسرته. أما التدوين المكاني ففيه يتتبع الرحال التسلسل الطبيعي للرحلة على أرض الواقع ولكن بصورة متقطعة حيث تتيح فترات التوقف، أثناء الرحلة، الفرصة للتأمل، ومن ثم التدوين المتأني. أما التدوين الموضوعي فيقوم على اختيار موضوعات بعينها والانطلاق منها إلى وصف مكان أو شعب، أو عدة أماكن أو شعوب. أما التدوين الانتقائي فيكون

(1) شاز: الطريق إلى الجزيرة، ص 11.

(2) مصطفى: رحلة في قلب نجد، ص 14.

بــأن ينتقــي أسطورة أو حكاية واقعة أو تجربة مــن كل بلد زاره. أما التدوين الاستدعائي ففيه يعتمــد الرحالة على تداعي الأفكار وتواردها على ذاكرته بعد عودته، فيبدأ بفكرة تستدعي فكرة وهكذا.[1]

وعن فوائد الارتحال يقول المسعودي: «ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليــه مــن الأخبار من إقليمــه كمن قسم عمره على قطــع الأقطار، ووزع بين أيامه تقاذف الأسفار، واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه».[2] وقد قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: «سافر ففي الأسفار خمســ فوائد»، وتحصل منه فوائد علمية في الجغرافيا الطبيعية والاقتصاد والأخلاق والزراعة والتجارة[3]. وللإمــام الشافعي أبيات في فوائد وفضائل الارتحال يقول فيها:

سـافـر تجـد عـوضـاً عـمـن تـفـارقـه

وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

إني رأيـــت وقـــوف المـــاء يفسده

إن سـال طـاب وإن لم يجر لم يطب

والشمس لو وقفت في الفلك دائمة

لملها الناس من عجم ومن عرب[4]

ويقــول إليوت: «ارتحلــوا... انطلقــوا...، فأنتم لستم نفســ الأشخاص عند

(1) المواقي: الرحلة في الأدب العربي، ص 65 – 70.

(2) فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، (القاهرة: الدار العربية للكتاب، 2002)، ص 21.

(3) السيد النجفي القوجاني: سياحة في الشرق، لجنة الهدى (ترجمة)، (بيروت: دار البلاغة للنشر والتوزيع، 1992)، ص 165.

(4) محمد مؤنس عوض: الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1995)، ص 4.

بـدء الرحلة».[1] ولم يعـدم الكاتب الفرنسي سافـاري الحقيقة عندما قال: «إن الرحلـة أكـثر المدارس تثقيفاً للإنسـان»[2]. وكذلـك الإنجليزي فينس موريسـون: «ما أحلى المياه الجاريـة، بينما البرك الراكدة نتنة، خُلق الناس كي يتنقلوا كالطيور المُحلقة».[3] ويضيف يوليوس أوتينج: «لا شك أن مميزات الانتقال عبر الصحـراء عديدة، ذلك أن الإنسان يُصبح معتمداً على نفسه تماماً ولا يحتاج إلى نقود، كما أن الهواء نقي بشكل رائع، ويشعر المرء مساءً ببرودة منعشة، وليس هناك أي ذبابة أو ناموسـة أو بعوض، كما أن هناك الكثير من أخشـاب التدفئة (الحطـب) ذات الرائحة الجميلـة، بالإضافة إلـى نومة رائعة فوق الرمال البلورية».[4] ويضيف أدولفو ريفادينيرا إلى تلك الفوائد: «وخلفت ورائي تلك المقبرة الجوالة وأنا أفكر بعادات البشر الكثيرة التي كلما عرفتها أكـثر ازداد عجبي».[5] وعبرت عنه المستشرقة الألمانية آنا مـاري شيمل بقولهـا: «وما كل من سعـى يصيد غزالة، ولكـن كل من صاد غزالة قد سعى».[6]

وقبل أن نطوي صفحـة هذا العنصر، يفرض سؤال نفسه: هل كانت الرحلة عبر التاريخ وقفاً على الرجال دون النساء؟ والإجابة عليه تحتاج إلى صفحات لكننا سنحاول إيجازها، فقد ذهـب بعض المهتمين بدراسة تاريخ الرحلات

(1) محمـد مؤنس أحمد عوض: الرحالـة الأوروبيون في مملكة بيـت المقدس الصليبيـة، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1992)، ص 7.

(2) قنديل: أدب الرحلة، ص 21.

(3) سارا سيرايت: (رحلة البرتغالي تاكسيرا إلى العراق في القرن السابع عشر)، فؤاد قزانجي (ترجمة)، مجلة المورد، المجلد 18، العدد الرابع (شتاء 1989)، ص 246.

(4) يوليوس أوتينج: رحلة داخل الجزيرة العربية، سعيـد بن فايز السعيد (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 1999)، ص 69.

(5) أدولفو ريفادينيرا: من سيلان إلى دمشق، صالح علماني (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2009)، ص 75.

(6) آنـا مـاري شيمل: الشـرق والغرب: حياتي الغـرب – شرقية، عبدالسلام حيدر (ترجمـة)، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004)، ص 13.

إلى أن الرحلة كانت نشاطاً اختص به الذكور غالباً دون الإناث، وليس معنى هذا أن المرأة لم ترتحل أبداً، وإنما يمكن القول إن رحلات الرجل فاقت رحلات النساء في الكم والكيف، والمدى الزمني. وأياً كان الأمر، فالمرأة عبر التاريخ كانت ولا تزال تنتقل وتسافر، وإن كان انتقالها غالباً وفق ما تمليه التنظيمات الاجتماعية، كما يكون ترتيب سفرها والإشراف عليه من مسؤولية الرجل في معظم الأحيان.[1]

وأرجع أصحاب الفكر الاجتماعي تفسير هذه الحقيقة التاريخية والظاهرة الاجتماعية إلى تفضيل المرأة للاستقرار أكثر من ميلها إلى ترك الديار والرحيل إلا فيما تقتضيه الضرورة، وجاء ذلك نتيجة الجذور التاريخية لظاهرة تقسيم العمل بين الذكور والإناث، في المجتمعات الإنسانية، فالرجل منذ بداية الحياة الإنسانية قد لازمته مسؤولية تزويد الأسرة بالطعام، وكان عليه أن يخرج سعياً وراء الرزق ويترك البيت للمرأة لتدبر شؤونه وترعى الأبناء، وقد نتج عن ذلك اكتساب كل من الرجل والمرأة صفات شخصية وسمات سلوكية متباينة فخرج الرجل للبحث عن الطعام سواء في صيد أو حرث أو قتال، قد أوسع من مجال تحركه وتعرضه للمخاطر، كما أكسبه اهتماماً واتصالاً بخارج البيت أكثر من داخله، على عكس المرأة التي تركزت نشاطاتها على داخل البيت، الأمر الذي أدى إلى تقليص ظهورها ودورها في المجتمع، ولقد أراد الرجل لها ذلك، وحرص على ترسيخ الاعتقاد به، ومن ثم ضرورة استمراريته.

وقد دعمت الفوارق البيولوجية، وما ترتب عليها من وظائف وأدوار اجتماعية محددة، هذا التوجه من قديم الزمان، فبنية الرجل الضخمة مقارنة بالمرأة نسبياً ولدت الاعتقاد لديه بقدرته على تحمل مشقة السفر، والعمل الشاق

---

(1) فهيم: المرأة والرحلة، ص 8.

أكـثر منها، ومن ثـم فمشقة الرحـلات قديمـاً لا تناسب المـرأة جسمانياً، عـلاوة علـى كونها أنثـى، فهي معرضـة أيضـاً لمخاطر الطريـق، واحتمال الإيـذاء البدني، ونقرأ لفاينز موريســن Fynes Moryson، وهو أحد رحالة القــرن السابـع عشر قولـه: «إن السفر ليسـ مناسباً للمـرأة، والعفيفة وإن سافـرت فلابد أن تكون برفقة وصحبة الرجـل»[1]. وهكذا ظل الأمر إلى أن شهـد القرنان التاسع عشر والعشرون، عدداً من رحلات النساء الأوروبيات خاصـة، حيث قصـد معظمهن بلاد الشـرق الأوسط خاصـة، بسبب وجود الاستعماريـن، الإنجليزي، والفرنسي، في المنطقة ممـا سهل عليهن السفر والإقامة.

ويجب الإشارة إلى أن أدب الرحلة قلت صناعته منذ بداية القرن العشرين، لانتشـار الطائـرات والسفن والقطـارات والسيـارات، فأخـذت المطايا في الاختفـاء وأصبحت الرحلة قصيرة لا يشاهد الرحالة الكثير من الأماكن أو الأشخاص التي يمر عليها.[2]

(1) فهيم: المرأة والرحلة، ص 8.
(2) مصطفى: رحلة في قلب نجد، ص 16.

الرحالة في العصور القديمة

خلـق الله الإنســان مُحباً للحركة والتنقـل، وأمده بالعقل الـذي يدعوه لذلك، والجســم القــوي الذي يعينه علــى الانتقال من موضع لآخـر، بحثاً عن طعامه وشرابه، وهرباً من القوى المعادية، سواء كانت طبيعية من برق ورعد وعواصف أو فيضانــات وزلازل وبراكــين، أو كانــت حيوانــات ضخمــة كالديناصــورات والأفيــال، أو مفترســة كالأسود والنمور والذئــاب. فالحركة روح الحياة، وهي سمــة أساسية في التركيــب الجسدي والنفســي للإنسان، وقد هيــأه الله لها، وجعلهــا إمكانية ضروريــة لحياته، تتسق مع الهدف من إيجــاده، والغاية التي خُلـق لأجلها وهــي تعمير الأرض وعبادة الله تعالــى. كانت الرحلــة إذن سر وحــدة البشر، أو على الأقل السبيل إلى ذلك، خاصة في عصر خلا من وسائل الاتصــال الحديثــة، وإذا كان العــالم اليوم قــد أصبح قرية صغــيرة، فإنه في الماضــي كان قــرى كثــيرة مبعثرة فوق رقعــة هائلة من المعمــورة، ولم يكن من سبيل لمعرفة الأحوال خارج القرية الواحدة إلا بالارتحال.

ارتبــط السفــر بارتيــاد المجهول وحــب المعرفة، لذلــك شغف الإنســان بعشق التجوال منذ أقدم العصور، فقام المصريون القدماء والسومريون والفينيقيون ثم الإغريق والرومان برحلات طويلة. وسجل المصريون رحلاتهم على جدران المعابد، وخاض الفينيقيون عباب المحيط الأطلسي، وعني الإغريق عناية واسعة بوصف البلدان والأقاليم التي رأوها، وقدموا الكثير من المعارف الجغرافية.[1] وقــام بعض التجار الرومان والإغريق، وبعض الرحالة والمغامرين، في العصور اليونانية والرومانية، برحلات إلى سواحل البحر المتوسط وشمال أفريقيا.[2]

---

(1) خورشيد باشا: رحلة الحدود بين الدولة العثمانية وإيران، مصطفى زهران (ترجمة)، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009)، ص 7.

(2) أسعـد عيد الفارس: (الرحالــة الغربيون في شبه الجزيرة العربية أهدافهــم وغاياتهم)، في كتاب دارة

وكان هـيرودوت، المؤرخ الإغريقي، مـن أوائل الذين رحلوا إلى مصر وسوريا وبـلاد الرافديـن، في القـرن الخامس قبل الميـلاد، فكتب عـن البلدان التي زارهـا، ووصـف آثارها، وبصـورة خاصة مصـر الفرعونيـة، مقدماً وصفه لحياة المصريـين وعاداتهم وتقاليدهم، وأساطيرهـم، وأهمية نهر النيل في حياتهـم، وقال كلمته المأثورة: «مصر هبـة النيل»[1]، كما رسم صورة العربي الفارس الذي لا يحترم وعده، وأودع مشاهداته، في هذه الزيارات والرحلات، تاريخـه الكبير، الذي يقـع في تسعة أجزاء.[2] وتبعه ديـودور، الذي رحل إلى مصر في القرن الأول الميلادي، وكتب عن أساطيرها، خاصة أسطورة إيزيس وأوزوريس، وعن النيل وفيضانه[3]، ثم جاء بلوتارك، الذي عني بتاريخ اليونان والرومان، ومنه استمد شكسبير الكثير من روائع مسرحياته.[4]

وفي الأدب العربـي نُطالـع تصانيـف كثيرة حول الرحلة، فقـد نهض العرب قبـل شروق شمـس الإسلام برحلات إلى اليمن والحبشـة والشام والعراق، وذكـر رحلتي الشتاء والصيف في القرآن الكريم له مدلوله على قيام التجار والرحالـة العرب برحلاتهـم.[5] فالعربي (أخو سفر جـواب أرض) بطبعه، دائـم التنقـل منـذ آلاف السنـين بحكم طبيعة الحيـاة، التـي ترتبط بالماء والـكلأ، فضلاً عن حركته الدائبة للرعي والتجـارة، ولا يمكن تصور حياته في الماضـي أو الحاضـر إلا والرحلة جزء هام من نسيجهـا، وأصبحت الرحلة

الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000)، ص 557.

(1) عزة كرارة: (رحالة وسائحون في مصر) مجلة سطور، العدد الثاني، (يناير 1997)، ص 38.

(2) سمـير عطا الله: قافلة الحبر الرحالـة الغربيون إلى الجزيرة العربية والخليـج، (بيروت: دار الساقي، 1994)، ص 17.

(3) إبراهيم الحيدري: صورة الشرق في عيون الغرب، (بيروت: شركة دار الساقي، 1996)، ص 9.

(4) خورشيد باشا: رحلة الحدود، ص 8.

(5) جليـل العطيـة: (كربلاء في عيون الرحالة الغربيين)، بكتـاب: دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، (الكويت: مؤسسة الزهراء الخيرية، 1996)، ص 110.

لازمة في ديوان العربي: شعره ونثره، قبل الإسلام، فلا يكاد يذكر المأثور من الشعر والنثر إلا وللرحلة وأدواتها المكانة المتميزة فيهما.[1]

وكان النشاط التجاري قبل الإسلام الباعث الأول للرحلة، وكان لليمنيين باع طويل في هذا المجال كفل لهم ازدهاراً حضارياً كبيراً. أما عرب الشمال البدو فقد حكمت رحلاتهم الظروف المحيطة بهم، ولذا فقد كانت متقلبة حسب تلك الظروف وخاضعة لها. وبعيداً عن الرحلات الجماعية التجارية كانت هناك رحلات فردية، تعبر عن وضع خاص لصاحبها، وقد سُجل عدد من هذه الرحلات في أشعار كبار الشعراء الجاهليين، كما أن نصائح نثرية وجهت إلى الجاهليين توصيهم بالرحيل. كما كانت رحلة الحج طقساً دينياً عندهم.[2]

وتشير كتب المؤرخين إلى أن العرب منذ ما قبل الإسلام كانت لهم تجارة نشطة، سافروا لها خارج أوطانهم براً وبحراً، وأغلب الظن أنهم عرفوا الملاحة والإبحار من قديم، وقد اشتهروا بالتجارة مع شعوب أفريقية، وأيضاً مع شرق الجزيرة حتى الهند، وما وراءها.[3] وإن لم تدون أخبار هذه الرحلات تدويناً خاصاً شاملاً لها أو جامعاً، اللهم إلا ما ورد متناثراً في قصائد الشعر وكتب اللغة.[4] ولابد أن رحلات مشابهة كانت تتم بين العراق وبلاد فارس والشام وآسيا الصغرى، ولكنها مهما بلغت من الحيوية والازدهار، فلا مجال لمقارنتها بالرحلة بعد الإسلام، لأن العالم المعمور آنذاك اتخذ شكلاً آخر، وانتقل إلى عصر جديد.[5]

---

(1) أحمد الطوخي: شرقي شبه الجزيرة العربية في العصور الوسطى في كتابات الرحالة المسلمين، (الدوحة: مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، 1990)، ص 5.

(2) الموافي: الرحلة في الأدب العربي، ص 82، 83.

(3) فيليب حتى: العرب تاريخ موجز، (بيروت: دار العلم للملايين، 1991)، ص 29.

(4) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد: جامعة بغداد، 1993) ج 8، ص 373.

(5) قنديل: أدب الرحلة، ص 25 – 28.

الرحالة المسلمون

الرحلة فن قديم في التراث العربي الإسلامي، ومن أوسع مجالات المعرفة وأكثرها خصوبة وثراءً وانفتاحاً، فنص الرحلة حقل منفتح على أصناف متعددة من المعارف، ينهل منه الفقيه والمؤرخ والجغرافي والأديب وعالم الاجتماع، وهو في النهاية وجه من وجوه وعناصر الصراع والتلاقي والتطور التي تتحكم في مساره، ونوعية الثقافة السائدة فيه. والرحلة عند الرحالة المسلم، وإن كانت كلاماً في الجغرافيا، بحيث يجتهد الرحالة في وصف المسالك والممالك، وكل ما يمر به من المشاهد الطبيعية المختلفة، والمعالم التاريخية والعمرانية التي يقف عندها، فهي تتطرق، بالإضافة إلى ذلك، إلى قضايا متعددة تتصل بالتاريخ والفكر واللغة والسياسة والدين، مما يوسع مجال الاستفادة من نص الرحلة بوصفه حقلاً معرفياً منفتحاً على مجالات متعددة.[1]

عندما ظهر الإسلام، وأشرق نوره على الجزيرة العربية، كان القرآن الكريم، معجزة الإسلام الكبرى، وكلمة الله إلى البشر كافة، داعياً في مواضع عديدة إلى السفر والترحال، وكانت الرحلات زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، محدودة لأن المسلمين كانوا في شغل بالرسالة، وإرساء قواعدها وتثبيت أقدامها في الجزيرة العربية أولاً، ومع ذلك يمكن اعتبار الهجرة الأولى، التي قام بها نفر من الصحابة إلى الحبشة، على رأسهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، رحلة، وكذلك الهجرة الثانية، وهي الهجرة الكبرى التي خرج بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعه أبو بكر

---

(1) عبدالخالق المفضل أحمدون: (الرحلة الحجازية الصغرى لأبي عبدالله محمد بن عبدالسلام بن ناصر الدرعي (ت 1239هـ/ 1823م) قيمتها العلمية والتاريخية)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000)، ص 175، 176.

الصديق من مكة إلى المدينة حماية للدين الجديد ودعماً له، فإنها تعد رحلة أيضـاً، وتقول بعض المصـادر إن أهم الرحلات التي تمـت في عهد الرسول صلـى الله عليه وسلم، اثنتان: واحدة تنسب إلى تميم الداري، وهو صحابي ولاه الرسـول صلى الله عليه وسلـم، أرضاً بالقرب من الخليـل أحد أقاليم فلسطـين، والثانيـة قام بها عبادة بن الصامـت، ويتحدث تميم الداري عن رحلة له ببحر الشام، حيث قذفت به عاصفة هو وصحبه إلى جزيرة مهجورة رأوا فيها رأي العين المسيح الدجال، وتحوم الشكوك حول هاتين القصتين.

أمـا في زمن الخلفـاء الراشدين فقـد تحدثت بعض المصـادر عن عدد من الأسفـار، فبعـد أن توطـدت أعمدة الديـن الوليد في شبه الجزيـرة، سعى المسلمـون إلى إهدائه للعالم، فتقدموا فاتحين، وكان الرحالة الذين سافروا وضربـوا في مناكـب الأرض، وجاسوا في البـلاد، واجتـازوا المسافات، هم الممهديـن للتوسع الإسلامي، فما كانت الجيوشـ الإسلامية قادرة على طي القفـار أو صعود الجبال وعبور الأنهـار لدخول الأقطار والأمصار إلا بفضل الرحالة والتجار، وكان للعرب في ذلك خبرة طويلة، أسهمت كثيراً في تسهيل مهمة الانطلاق براية الإسلام.[1]

مهـدت الرحلات إذن للفتوحات الإسلاميـة، ودارت الأيام ليعود دورها من جديد فيصبح تالياً للفتح، الذي أتاح وسائل السفر في إمبراطورية مترامية الأطـراف بأمان وسلام، فقد أقـام الولاة وأهل الخير على الطرق المحطات والرباطات والمضايف والحراسات، كمـا تطلب التوسع توالي إرسال الرُسل وموظفـي الإدارة والعلماء والفقهاء ومسؤولي الشـؤون المالية وعمال البريد والخـراج، ولذلك كان لابد من أن يواصل رجـال الرحلة مهمتهم التاريخية والجغرافيـة، فعملـوا علـى اكتشاف البلـدان الجديدة بمدنهـا وقراها وما

(1) قنديل: أدب الرحلة، ص 32، 33.

يتبعهـا من عمران، ومـا يقتضي ذلك من معرفة المسالك المُفضية إلى المدن والأقاليـم. وأصبح السفر بمرور الأيام جزءاً مهماً من حياة العربي، ومعلماً مـن المعالم الرئيسيـة في نشاطه الدينـي والعلمي والسياسـي؛ بل غدا لدى الكثيرين صورة من صور العبادة.[1]

ومـن أجل أن تؤتي الرحلة ثمارها، يسر الله أمور المسلمين ببعض الرخص، التـي أصبحت عاملاً مسهماً في تخفيف بعض متاعب الأسفار، مثل: إباحة تعـدد الزوجـات[2]، والتيمم بدلاً في الوضوء إذا تعـذر الماء، كما أباح الجمع في الصلـوات، ورخص القصر، والفطـر للصائم المسافـر.[3] ولا ننسى أن إكرام الضيف، وبساطة العيش في القرون الوسطى، كل ذلك سهل الرحلات وشجع على القيام بها.[4] وعلى هذا يمكن القول: إن الرحلات بكافة صورها وأسبابهـا وأهدافها كانت أحد الأسـس في صرح الحضارة العربية الشامخ، لأن الرحلـة، إلى جانـب كونها وسيلة من وسائل جمع المعـارف، كانت أيضاً فرصـة لاكتشاف الآخر، والأخذ عنـه وإثارة الشعـور بالمنافسة والرغبة في التفـوق، والطمـوح إلى السيادة، ولم يكن ذلك ممكنـاً والعربي في خيمته أو قصره أو حتى في معمله لا يبرحه.[5]

يحـرك الرحلـة ويخرجهـا شيئـان: دوافع ذاتيـة، وأسباب عامـة. الدوافع الذاتيـة هي الأساس الـذي تبنى عليه الرحلة، ثم تأتـي الأسباب الظاهرية والعامة لتكون مبرراً مقبولاً للقيام بهذه الرحلة. وتتعدد الدوافع التي تحمس الإنسـان للرحلات، وتختلف من شخص إلى آخر، ومن قوم لقوم، ومن عهد

(1) قنديل: أدب الرحلة، ص 34 – 36.
(2) زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، (بيروت: دار الرائد العربي، 1981)، ص 11.
(3) قنديل: أدب الرحلة، ص 38.
(4) حسن: الرحالة المسلمون، ص 6–11.
(5) قنديل: أدب الرحلة، ص 68.

لعهد، إلا أنها عند الرحالة المسلمين في الأغلب لا تخرج عن أن تكون:

دوافع دينية: كأن يرتحل إلى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمن وتوبة، وتطهيراً للنفس من دنس الذنوب، والإسلام فرض الحج على المؤمنين.(1) وقد صار مصطلح (الرحلات الحجازية) من المصطلحات المتعارف عليها في الآداب العالمية وخاصة الآداب الإسلامية.(2) حيث رحل الناس لزيارة مهبط الوحي، ولقوا في ذلك الكثير من الصعاب، وتحملوها راضين ومسرورين.

دوافع علمية: رحلوا في طلب العلم حيث مراكزه المضيئة، وقد شجع الإسلام طلب العلم، وحث عليه، وحض الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، على طلب العلم ولو في الصين.(3) وعد المسعودي (الرحلة في طلب العلم) إنجازاً دينياً جديراً بالإشارة.(4) وأورد المقري في نفح الطيب أسماء 280 شخصاً من الأندلسيين، الذين رحلوا إلى المشرق في طلب العلم وحده، معترفاً رغماً عن ذلك أنه لم يستوعب كل الأسماء.(5)

دوافع سياسية: كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات، أو لمناقشة

---

(1) نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1987)، ص148؛ عبدالعزيز بن صالح الهلابي: (الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني (دراسة مقارنة))، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000)، ص 81.

(2) الحفناوي: الرحلات إلى شبه الجزيرة، ص 885.

(3) قنديل: أدب الرحلة، ص 31.

(4) دينيزيوس ألبرتوس إيكيوس: (عرض لأعمال الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين المتاحة للباحثين وتصويرها للوضع الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة)، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996)، ص 56.

(5) الطوخي: شرقي شبه الجزيرة، ص 5، 6.

شؤون الحرب والسلام، أو تمهيداً لفتح أو غزو. وفي الإطار الرسمي دعت الحاجة إلى تنظيم علاقات الدولة بالولايات التابعة لها إلى إرسال الرسل، والاهتمام بشؤون البريد، وتكليف العمال بجمع الجزية والخراج.[1]

دوافع سياحية وثقافية: تصدر عن الرغبة في الطواف والسفر لذاته، وحب التنقل وتغيير الأجواء والمناظر، وتجديد الدماء بالمشاهدة والمغامرة، ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع، للترويح عن النفس تارة، وإشباع الفضول المعرفي تارة أخرى، وقد تكون لتعرف المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج أو الكهوف والغرائب والعجائب والوسيلة المُثلى لاكتشاف الجغرافيا والتاريخ معاً. كما رحلوا طلباً للذة السفر ورغبة فيه، وكذلك جوابو الآفاق رغبة في الرحلة ذاتها، أو تعبيراً عن المغامرة التي تكتشف مجهولاً.[2]

دوافع اقتصادية: للتجارة وتبادل السلع، وطلباً للربح، والثراء، أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو هرباً من الغلاء وسعياً رواء الرخص واليسر والوفرة، وكان التجار يحملون مع بضائعهم ثقافاتهم ومعتقداتهم وعادات وأعراف بلدانهم.[3] وما كان هؤلاء التجار يمرون بالبلدان دون أن يتعرفوا إلى أهله ويخبرون أحوالهم. وكانت هذه المعرفة تنتقل رواية وأخباراً حتى يقيض الله لها من يدونها وتصبح جزءاً من التراث الأدبي للرحلة.[4] وكان دافع بنيامين التطيلي، أحد أشهر الرحالة اليهود في القرون الوسطى، للقيام برحلته هو التجارة.[5] كما ساهم ابن حوقل والمقدسي والمسعودي

(1) قنديل: أدب الرحلة، ص 67.

(2) محمد منصور: أدب الرحلات النبيلة (الرياض: كتاب المجلة العربية، 1432هـ)، ص 9-11.

(3) خورشيد باشا: رحلة الحدود، ص 8.

(4) زيادة: الجغرافية والرحلات، ص 147.

(5) حمد محمد جمعة بن صراي: (منطقة الخليج العربي في رحلة بنيامين التطيلي)، في كتاب: عبيد علي

وابــن بطوطة في أنشطــة تجارية، وتقلدوا مناصب مختلفــة مدفوعة الأجر، على امتداد رحلاتهم.[1]

دوافــع صحية: كالسفر للعــلاج أو الاستشفاء، أو إراحــة النفس من العناء، وتخليصها من الكدر، وقد يكون هرباً من وباء أو طاعون أو تلوث.

دوافــع أخرى: قــد لا نعدم أسباباً أخرى للارتحــال كالسخط على الأحوال، وضيــق العيش، أو الهروب من عقوبــة، أو الجهاد في سبيــل الله.[2] وأخيراً أوجــدت الحروب والغــزوات والمتطلبــات السياسية والإداريــة لتوسع العالم الإسلامــي دافــع البحث عن المعرفة الجغرافية.[3] أو رحلــوا طلباً للرزق إذا ضاقت بهم أرضهم أو من أجل التعرف على حدود البلدان المجاورة لهم.[4]

ويجمــع الباحثون علــى أن الرحلة العربية مرت بأطــوار متعددة، حتى بلغت أوج ازدهارها، وكان معظم رحالة القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، من اللغويــين، أبرزهم اللغوي والمؤرخ هشام الكلبــي (ت حوالي 206هـ).[5] ثــم سليمان التاجــر (ت 237هـ/ 851م)[6]، وحظــي اليعقوبي (ت 284هـ/ 897م)، بقــدر كبــير مــن الاحترام لــدى الباحثــين لأمانته العلميــة ودقته وابتعــاده عن الغرائب والعجائب.[7] أما ابــن خرداذبة (ت 272هـ/ 885م) فقد تناول بالتعريف الطرق والمسالك بين بغداد والمدن الإسلامية الأخرى.

بــن بطي (تحريــر): كتابات الرحالة والمبعوثين عــن منطقة الخليج العربي عــبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996)، ص 77.

(1) إيكيوس: عرض لأعمال الرحالة، ص 69.

(2) قنديل: أدب الرحلة، ص 19، 20؛ الموافي: الرحلة في الأدب العربي، ص 27 – 29.

(3) سليــم الحسني: ألف اخــتراع واختراع، التراث الإسلامي في عالمنا، (الدوحــة: متحف الفن الإسلامي، 2011)، ص 248.

(4) خورشيد باشا: رحلة الحدود، ص 9–11.

(5) قنديل: أدب الرحلة، ص 70.

(6) الطوخي: شرقي شبه الجزيرة، ص 22، 23.

(7) قنديل: أدب الرحلة، ص 98، 117.

أمـا القــرن الرابع الهجــري/ العاشــر الميلادي، فقــد أطلق عليــه (عصر الرحلــة الذهبي)، لأن عــدد الرحالة في هذا القرن بلغ حــداً كبيراً حتى إن أسس أدب الرحلة وضعت فيه، وهو ازدهــار أدت إليه عوامل كثيرة، أهمها الازدهــار الحضاري، الذي أملــى على أصحاب الرحلــة النابهين أن يدونوا وقائع رحلاتهم، منفتحين علــى العالم الخارجي، وتوسعوا لتشمل رحلاتهم ومؤلفاتهــم معظم العــالم المعروف حينئذ.[1] فظهر رحالــة كبار من أهمهم المسعودي (ت346هـ/958م)، وابن حوقــل (ت331هـ/ 943م)، والمقدسي (ت حــوالي 390هــ/ 1000م)، وقدامــة بــن جعفــر (ت320هــ/ 932م) والهمداني (ت 334هـ/ 945م) والأصطخري (ت340هـ/ 854م) والبلخي (ت 322هـ/ 934م)، وابن فضلان (ت 309هـ/ 921م).[2]

وتفتتح القــرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي رحلات مهمة قام بهـا الطبيب البغدادي ابن بطلان عام 404هــ، وعندما تتقدم سنوات هذا القرن نحو منتصفه، يشهد أدب الرحلة افتتاح صفحة جديدة من صفحات ذلــك الكتــاب الفريد، حيــث يحتل هــذه الصفحة بعض رحالــة وجغرافيي المغــرب الإسلامي، إذ شرعوا في الدخول إلى هذا العالم على استحياء، بعد أن كان قاصــراً علــى رحالة المشــرق، ومنهم أحمد بن عمــر العذري، الذي ارتحــل إلى الشرق وعاش في مكة تسعة أعوام، وخلف لنا كتاباً سماه (نظام المرجــان في المسالك والممالك) إلــى أن نصل إلى أبي عبيد عبدالله البكري (ت 487هـ) أكبر رحالة الأندلس في هذا القرن.

ويكاد القرن السادس الهجــري/ الثاني عشر الميلادي ينافس القرن الرابع

(1) المواي: الرحلة في الأدب العربي، ص 21، 85.

(2) قنديــل: أدب الرحلــة، ص 74، 125، 157، 163، 178، 211؛ نقــولا زيــادة: الجغرافيــة والرحــلات، ص 152، 153؛ نقولا زيادة: الرحالــون المسلمون والأوربيون إلى الشرق العربــي في العصور الوسطى، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010)، ص 32، 33؛ الطوخي: شرقي شبه الجزيرة، ص 27، 28.

في حجم الإنجاز الكبير على صعيد أدب الرحلة، فإذا كان القرن الرابع قد تميز بعدد الرحالة الكبير، فقد تميز القرن السادس بقوة هؤلاء الرحالة، وأهمية الآثار التي خلفوها، والمناهج التي اتبعوها في جمع المادة وتدوين المشاهدات، بما يعد نقلة حضارية كبرى في هذا المجال. ومن أشهر رحالة هذا القرن الإدريسي (ت: 560هـ/ 1162م)، وأبو بكر العربي (ت 542هـ/ 1148م)، أول من استخدم لفظ رحلة في عنوان مؤلف، حيث وضع كتاباً سماه (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة).[1] وابن جبير (ت 614هـ) الذي اكتملت على يديه ملامح أساسية لأدب الرحلة العربي، وناصر خسرو (ت 542هـ/ 1060م).[2] وأسامة بن منقذ (ت 584هـ).[3]

أما أهم انجازات رحالة القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فهو كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1229م)[4] بفضل ما يتضمنه من معارف جغرافية وأدبية وتاريخية وفولكلورية. بعد ذلك يطالعنا الرحالة الأندلسي ابن سعيد (ت 673هـ) الذي حط الرحال بعد تجوال في بلاد الشرق لأكثر من ربع قرن. ونصل مع نهاية القرن إلى رحالة له سمات خاصة، هو ابن جبير (ت: 614هـ/ 1217م)، الذي قام بثلاث رحلات كانت جميعها بغرض الحج، ولم تتوقف رحلات البغدادي (ت 629هـ/ 1232م) إلا بوفاته، وترك لنا ابن سعيد الأندلسي (ت 685هـ/ 1286م)، عدة مؤلفات عن أسفاره.[5] ومن الرحالة الذين طافوا أنحاء الشرق الإسلامي، وكان مغرماً بالأسفار، هو علي الهروي (ت611هـ/ 1215م).[6]

(1) قنديل: أدب الرحلة، ص 74، 287، 335.
(2) زيادة: الجغرافية والرحلات، ص 81، 82، 158-160.
(3) قنديل: أدب الرحلة، ص 75، 76.
(4) حسن: الرحالة المسلمون، ص 102-105؛ زيادة: الرحالون المسلمون، ص 61، 62.
(5) قنديل: أدب الرحلة، ص 338، 384، 419، 451: الرحالون المسلمون، ص 87 - 89.
(6) عوض: الجغرافيون والرحالة، ص 11، 12.

وشهد القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ظهور أبي الفدا (ت: 732هـ/ 1331م)، الذي أغرم بالرحلة والتاريخ والجغرافيا، ثم القزويني (ت: 672هـ/ 1273هـ)، على أن كل ما أثمره هذا القرن يتضاءل كثيراً إزاء ظهور الرحالة ابن بطوطة (ت770هـ/ 1369م)، آخر رحالة على المستوى العالمي، أقدم على الرحلة في البداية لأجل الحج، ولكنه عشق الرحلة والسفر لذاتهما، فظل حوالي ثمانية وعشرين عاماً في أسفار متصلة ورحلات متعاقبة، يخرج من بلد إلى بلد، وكلما انتوى العودة غلبه الشوق إلى سفر جديد.[1] أما آخر الرحلات المهمة فهي دون جدال رحلات العالم والسياسي والمؤرخ عبدالرحمن ابن خلدون (ت 808هـ/ 1406م) الذي أوردها ضمن كتابه (التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً).[2]

وتقلصت وانحصرت الرحلات نسبياً خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (15، 16م)، وتحوم في الأفق الضبابي رحلات عبدالباسط بن خليل الظاهري المصري، والحسن بن الوزان المشهور باسم ليون الأفريقي، ورحلة أبي البقاء البلوي وأحمد المقري وغيرهم، وترجع أسباب هذا الاندثار التدريجي إلى المشكلات السياسية والاقتصادية التي لحقت بالعالم العربي، والنكوص الثقافي والحضاري والتدهور الإنساني بشكل عام، وزوال دولة الإسلام من أسبانيا، وسقوط كل دولة تحت عبء مشكلاتها الداخلية والنزاع على السلطة. ولم تعدم القرون التالية بعض الرحالة، فها هو العياشي (ت 1090هـ/ 1679م) صاحب كتاب (الرحلة).[3]

ولقد ساير الإيرانيون الموكب الثقافي الإسلامي في كتابة الرحلات مسايرتهم

(1) الطوخي: شرقي شبه الجزيرة، ص 30، 31؛ زيادة: الرحالون المسلمون، ص 100، 101، 187–189.

(2) قنديل: أدب الرحلة، ص 78–80.

(3) خورشيد باشا: رحلة الحدود، ص 12 – 14.

لـه في جميـع العلوم الإسلامية، فاهتـم كثير من رجـال السياسة والعلم في إيـران أيضاً بتأليف رحلات لتسجيل ما عاشوه وعاينوه خلال أسفارهم إلى الديـار المقدسة أو غيرها. فمع كل عام كان يقصد الديار المقدسة آلاف من الإيرانيـين المؤمنين زرافات ووحداناً، ومن بين هؤلاء عدد غفير من المثقفين الذيـن اهتمـوا بكتابة رحلاتهم. وهنـاك كم هائل من الرحـلات الفارسية ينـم عن مدى مساهمة الأدب الفارسـي في التعريف بآداب الحج وجغرافية الحجاز وطرق السفر إلى الديار المقدسة. وتحمل بعض هذه الرحلات قيمة أدبية كبيرة، كما أن هناك رحلات تميزت بحجمها الكبير، حيث تضم مئات الصفحات.[1]

(1) محمد علي هادي: (أضواء على الرحلات الفارسية القديمة إلى الديار المقدسة)، مجلة العرب، الجزء 1، 2، السنة 32 (نوفمبر، ديسمبر 1996)، ص 28، 29.

الرحالة في العصور الوسطى

شهدت العصور الوسطى خروج العديد من الرحالة الأوروبيين صوب الشرق إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين، أو إلى مناطق أخرى في قارة آسيا مثل الصين، وغيرها، ومن أولئك الرحالة من كان من الحجاج أو من التجار أو من المنصرين، ومنهم من ترك كتاباته عن المناطق التي زارها وذكرياته هناك.[1] وتعد كتابات الرحالة الأوروبيين في العصور الوسطى البداية الحقيقية لظاهرة الاستشراق، واتصال أوروبا بالشرق، وتتبع أخباره وثرواته، وشعوبه، وهي كتابات كان لها دورها فيما بعد في زيادة معرفة الغرب بجغرافية الشرق، وذلك قبل أن يتم توظيف تلك المعرفة لصالح الاستعمار الأوروبي.

ومن المهم التقرير بوجود إشكاليات عند دراسة موضوع الرحالة الأوروبيين في العصور الوسطى، فقد احتوت رحلاتهم في أحيان عديدة على رؤية منحازة إلى الدين أو الأرض التي عاش عليها، ولذلك تشكلت كتابته من خلال ذلك الولاء الديني والوطني، كما احتوت مؤلفات أولئك الرحالة على زوايا أسطورية، وربما منها ما نتج عن الخيال الشعبي الجامح، ولا يتفق مع المقاييس العقلية، ولذلك فإن مثل تلك الروايات لا تعبر إلا عن روح العصر الوسيط الذي سادت فيه التصورات الخاصة بالمعجزات والكرامات، والقدرات الخارقة.[2] ومن ثم يجب عدم الأخذ بكل ما ورد في مؤلفات أولئك الرحالة دون إمعان النظر فيها، والتقصي ومقارنة مادتها التاريخية بما ورد في المصادر التاريخية الأخرى المعاصرة.

---

(1) محمد مؤنس عوض: الرحالة الأوروبيون في العصور الوسطى، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2004)، ص 7.

(2) عوض: الرحالة الأوروبيون، ص 8.

كانت الرحلة من الظواهر الرئيسية في حياة العصور الوسطى، وكانت دوافعها متعددة وغايات الرحالين مختلفة. فبواعث السفر والتنقل ورغبات الناس اختلفت باختلاف الأزمنة والأحوال التاريخية، ورغم ذلك يمكن إجمالها في:

الحج: كان الباعث الأول والرئيسي، فالمسيحيون كانوا يرون لزاماً عليهم، ولو لم تفرض ذلك المبادئ الدينية أن يزوروا البلاد التي عاش فيها المخلص، ويتبركوا بلمس ترابها، ومع أن الكنيسة لم تهتم بالحج بادئ ذي بدء، فإنها لم تلبث أن قبلت بما قام به الناس، وجعلته جزءاً أصيلاً من أعمال التوبة، وسبيلاً لغفران الخطايا.[1]

التجارة: دخلت التجارة إلى جانب الحج، كدافع للترحال خلال فترة الحروب الصليبية، وقوي هذا الدافع كثيراً بعد خروج الصليبيين، ونشط التجار في توطيد العلاقات مع الشرق وتجديدها.

الاستقرار: إذ كان منهم من أتى إلى الشرق ليقيم ويستقر، إما لأنه لم يجد في بلاده قوتاً أو رزقاً، أو لأنه أراد أن يتحرر من الرق السياسي والاقتصادي هناك، أو لأنه رغب في التخلص من خصومات سياسية، فحاول أن يجد مكاناً جديداً بعيداً عن هذه الأمور كلها.

الفروسية: كانت عاملاً هاماً في شحذ الهمم للرحلة، فالفارس كان يرغب في أن يلمس سيفه القبر المقدس، في كنيسة القيامة بالقدس، لأن ذلك يزيده شرفاً وقدراً. والفارس العاشق كان يقوم بالرحلة إرضاء لحبيبته، التي أظهرت مثل هذه الرغبة، والفارس المغامر كانت تثيره إلى الرحلة القصص التي كان يسمعها من العائدين من المشرق عن سحره وغرائبه.

---

(1) زيادة: الرحالون المسلمون، ص 47، 48، 50، 51.

التبشير: من عوامل السفر والرحيل الهامة، ذلك أن الأوروبيين اهتموا في زمن الصليبيين بنشر المسيحية، واستمروا في هذه المحاولة بعد ذلك لأغراض سياسية واستعمارية.[1]

سياسي: في القرنين 14 و15م نتعرف إلى نوع جديد من الرحالة هم السفراء السياسيون، والمتنكرون بزي الحجاج أو التجار، ومن هؤلاء من قام بمهمته بناء على طلب البابا أو أحد الملوك، أو بدافع شخصي، لكنه يقدم ثمرة اختباراته إلى الرجال المسؤولين، وفي هذه الحالات كان الباعث التعرف على نواحي الضعف في الشرق العربي، والوقوف على خير الطرق لاحتلاله والقضاء على سلطان أهله السياسي وضمه إلى المجال الاقتصادي الأوروبي.

علمي: حيث لا نعدم وجود رحالة زاروا الشرق للدراسة العلمية، إلا أن هذا النوع جاء متأخراً في أواخر القرن 15 وبدايات القرن 16. إذ تغيرت النظرة إلى الرحلة على أنها عامل تهذيبي يوسع الأفق العقلي، ويحمل المسافر على التفكير والتعلم.[2]

من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا المشرق العربي في العصور الوسطى سايولف الذي قام برحلته فيما بين عامي (1102–1103م)، ودانيال، وقام برحلته بين عامي (1106–1107م)، وفتيلوس (1118–1130م)، ويوحنا الورزيرجي (1160–1170م)، وأيو فروزين (1162–1172م)، وبنيامين التطيلي (1163–1171م)، وثيودوريش (1171–1172م)، وبناحيا الراتسبوني (1174–1187م) ويوحنا فوكاس (1185م)[3]، وفي العام 1220 مر أشهر مستكشفي العالم، ماركو بولو على مقربة من عدن.[4]

(1) زيادة: الرحالون المسلمون، ص 48، 49.
(2) زيادة: الرحالون المسلمون، ص 49، 50.
(3) عوض: الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس، ص 11. الفارس: الرحالة الغربيون، ص 599.
(4) عطا الله: قافلة الحبر، ص 50.

الرحالة في العصور الحديثة

يجمع المؤرخون على أن سقوط بيزنطة في عام 1453 ورحيلها إلى إيطاليا محملة بتراث الشرق وثقافته وفنونه هو بمثابة بداية عصر النهضة الأوروبية[1]، فلما أطل القرن السادس عشر، بدأت مرحلة جديدة في هذه الملحمة الثقافية والحضارية من علاقات الشرق بالغرب، فتضاعف إلى حد كبير عدد الرحالة الأوروبيين، الذين قصدوا الشرق إما للتجارة، أو المغامرة، أو الاستطلاع، أو لمجرد الخروج بمؤلفات إبداعية فريدة.[2]

أما أصحاب هذه الرحلات فهم بين فنلندي وبرتغالي وفرنسي وهولندي ودانماركي وألماني وإيطالي وبريطاني وروسي وأرمني وهندي، بالإضافة إلى الأتراك والفرس[3]، وكانت دوافعهم وأهدافهم مختلفة.[4] وأبدى الكثير منهم شغفاً كبيراً بالشرق، وعشقوا لغته، وتراثه المكتوب والمروي، وأجاد الكثير منهم العربية، وتكنوا بأسمائها، وأجادوا حفظ نوادرها والتعرف إلى دقائق تاريخها وروائع آدابها وأشعارها.[5]

وخلال عصر النهضة، ازداد اهتمام أوروبا بالشرق، وأصبح أكثر تنظيماً وشمولاً، بعد أن توسعت مصالح البورجوازية الأوروبية، وانطلقت خارج

---

(1) جمال قطب: (جماليات الشرق في عيون الغرب) مجلة سطور، العدد الأول، (ديسمبر 1996)، ص 52.

(2) ألويز موزيل: في الصحراء العربية، رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب 1908-1915، عبد الإله الملاح (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010)، ص 6. كارلو كلاوديو جوارماني: نجد الشمالي، رحلة من القدس إلى عُنيزة في القصيم، أحمد إيبش (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009)، ص 8.

(3) جيمس بيلي فريزر: رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1834، جعفر الخياط (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 8.

(4) عطا الله: قافلة الحبر، ص 9.

(5) انيغريت نيبا وبيتر هربستروت: رحلة عبر الخليج العربي من البصرة إلى مسقط من خلال صور نادرة للرحالة الألماني هرمان بورخارت، أحمد إيبش (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009)، ص 8.

حدودها الجغرافية التقليدية، وبعد أن أخذ التطور العلمي والثقافي، يسير على وتيرة واحدة سريعة، مع روح التوسع العسكري، الذي تمخضت عنه حركة الاستكشافات الجغرافية، وفرض السيطرة على طرق التجارة والمواصلات البرية والبحرية، للبحث عن أسواق ومواد أولية جديدة، وتصريف البضائع والمنتوجات الصناعية الواسعة، وتأسيس قواعد عسكرية واقتصادية عديدة، هذه العوامل بمجموعها، دفعت من جديد وبزخم أقوى، حركة الرحلات والاستشراق إلى أن تقوى وتتوسع، وتصبح مؤسسات ثقافية وسياسية، ترتبط بصورة مباشرة وغير مباشرة، بأيديولوجية ومصالح القوى الأوروبية الجديدة، التي نمت وتطورت على أنقاض المجتمع الإقطاعي المُنهار. وفي هذه المرحلة أخذت هذه المؤسسات بُعداً جديداً، بعد أن نمت إمكانياتها الثقافية والمالية، وتطورت أجهزتها العلمية والإدارية، واكتسبت بنية فكرية وأيديولوجية جديدة.[1]

ومع انطلاقة عصر التنوير، تمثل الانفتاح والتقدم والعقلانية، في التطلع إلى ثقافات ولغات جديدة، يلقح بها الأوروبي ثقافته، ويراكم بها معرفته، وينفتح على المجتمعات الأخرى غير الأوروبية، وينظر إلى البلدان والشعوب نظرة إنسانية، غير أن أفكار عصر التنوير، عجزت عن تحقيق أهدافها الإنسانية، وتحولت إلى أيديولوجيا لخدمة الدولة البورجوازية الجديدة، التي شجعت على فكرة التمركز الأوروبي، ومن ثم فلا غرابة أن يكون الرحالة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر من الحجاج. وزار العديد منهم الشرق من أجل المزارات المسيحية، ولذلك جاءت رحلاتهم سريعة، كما اتسمت كتاباتهم بعدم الدقة فجاءت في صورة جمل قصيرة جافة. وجاءت كتابات هؤلاء الرحالة عن الشرق بعد انقطاع طويل عن هذه

(1) الحيدري: صورة الشرق، ص 88.

المناطق، فاستقبل الأوروبيون هذه الكتابات بشغف وحماس شديد.[1]

ويمكننا أن نطلق على القرن الثامن عشر قرن الرحالة الباحثين عن المعرفة، فالرحالة الذي رأيناه سابقاً اختفى، وحل محله المُستكشف الذي مهما بلغ به حب المغامرة والجُرأة، إلا أنه يرى ويعد وصف تلك البلاد جزءاً من مهمته الأصلية، وذلك بأن يكتب وصفاً دقيقاً لما رآه ومارسه وما قاساه أحياناً في تلك البلاد.[2] وشهد النصف الثاني من القرن مجيء نوع جديد من الرحالة تمولهم جمعيات علمية أو شركات كبرى مقابل أن يقدموا لها ما تُسفر عنه دراساتهم، كما كان هناك غيرهم من الرحالة المبشرين الذين تمولهم جمعيات الإنجيل[3]، وكان منهم الجواسيس بحكم كتاباتهم التي مهدت في نهاية الأمر لإرسال حملة نابليون بونابرت في أواخر القرن. ولهذا فقد تميز بظهور كتابات علمية دقيقة أطلق عليها (التحقيقات العلمية)، فلم يعد الشرق مجهولاً أو غامضاً، أو مأهولاً بالسكان المتوحشين، والحيوانات المتوحشة أو الأفاعي الساحرة، وإنما درس هؤلاء الرحالة أوضاعه الحقيقية.[4]

وقد اختلفت كتابات هذا النوع الأخير من الرحالة عمن سبقوهم فقد جابوا المدن والقرى، ولم تكن زياراتهم قصيرة، وسريعة، وإنما مكث بعضهم عدة سنوات، فجاءت كتاباتهم أعمق بكثير، كذلك اهتموا بدراسة الأحوال السياسة والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، كذلك شهد هذا

---

(1) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر (القاهرة: مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، 1995)، ص 5، 6، 9، 10، 63، 64.

(2) بيتر برنيث: بلاد العرب القاصية، رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب، خالد أسعد عيسى؛ أحمد غسان سبانو (ترجمة)، (بيروت: دار قتيبة للنشر والتوزيع، 1990)، ص 81.

(3) مجلة سطور: (مصر في عيون الغرباء)، مجلة سطور، العدد 16، (مارس 1988)، ص 56.

(4) ذهني: مصر، ص6، 65.

القرن ظهور كتابات متخصصة للقناصل، ويمكننا القول: إن إنجاز الحملة الفرنسية (وصف مصر)، إنما هو حصيلة جهد ثلاثة قرون، فكتابات هؤلاء الرحالة كانت ركيزة عمل الحملة، والتي جاءت إلى مصر، وهي مزودة بفكرة مسبقة عن أحوالها، ولذلك فإننا لا نتعجب من العمل الضخم الذي أنجزته الحملة الفرنسية، ألا وهو وصف مصر، فما كان لهذا العمل أن يتم لولا وجود أساس قوي ومتين استند عليه علماء الحملة.[1]

منذ مطلع القرن التاسع عشر تعددت هُويات الرحالة وتباينت شخصياتهم إذ بدأ العديد من السياح الأجانب من جنسيات مختلفة، يفدون إلى بلاد الشرق، فيقيمون فيها ردحاً من الزمن، ويوردون عنها انطباعاتهم[2]، تعددت هوياتهم، وتباينت شخصياتهم، وطبقاتهم الاجتماعية، فكان من بينهم رجل الدين، والعالم والطبيب، والسياسي والأديب والشاعر والفنان، إلى جانب ذوي الألقاب من أفراد الطبقة الأرستقراطية، منهم الأمير والكونت والفيكونت والبارون. وقد تعددت وتنوعت وظائفهم، فمنهم الأثريون وعلماء الآثار، والعلماء، والأدباء، والقادة والضباط العسكريون، وأصحاب الدعوات الإنسانية، وكذلك الرسامون.[3] ولقد أتى بعض هؤلاء الرحالة في أعمال رسمية والآخرون في أعمال خاصة، وبدأت أسماء الرحالة الجدد والاستكشافات الجديدة تظهر للملأ وكذلك زيارة المدن المحرم زيارتها لمعرفة كنه أسرارها.[4]

وأسفر هذا الاهتمام وهذه الأنشطة عن ترويج المعلومات والمفاهيم عن

(1) ذهني: مصر، ص 10، 64.

(2) محمد محمود الصياد: (الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر)، مجلة الدارة، العدد الثالث، (شوال 1397هـ)، ص 112، 113.

(3) ذهني: مصر، ص 67.

(4) برنيث: بلاد العرب، ص 118.

العـرب وسط الجمهور الغربي، وبدورها أثرت في مفاهيم الرحالة والمبشرين مـن خلال تهيئتهم مسبقاً قبل مجيئهم إلى هذه المنطقة، وهكذا فإن الرحالة الغربـي لدى انطلاقه في رحلته، لم يكن بالقطع صفحة بيضاء ولا لوحاً أملس يتلقـى الانطبـاع الأول، لقد جـاء معظم الرحالـة والمبشريـن حاملين معهم صـورة أو مزيجاً من الصور، وغالباً مـا كان المفهوم المسبق ناجماً عن تراكم المعلومـات، إما التي تناقلتها الأجيـال أو التي نتجت عن مواد متاحة للجمهور الشغوف بالقراءة. وهكذا فإن دوافع الرحالة الغربي والمفاهيم الناجمة عنها هـي غالباً امتـدادات للتطورات الحضاريـة والأحـداث السياسية في كل من الغرب والشرق، ومن الضروري لهذا السبب تحليل السياق الغربي، سواء أكان تاريخيـاً أم حضاريـاً لأنشطة الرحالة والمبعوثـين الغربيين في العالم العربي، لكي نفهم على نحو أفضل دوافع الرحالة والمبعوثين وسلوكهم وطروحاتهم.[1]

وبالرغـم من أن الرحالة الغربي كان صاحب ديانة مغايرة لديانة المسلمين، فعليـه أن يتعلـم الشعائر الإسلاميـة، والفقه والعقائـد الإسلامية، والإلمام بتاريـخ القبائل العربية، وإتقـان سلاسل أنسابها، وأن يكـون عربياً مسلماً في سلوكـه وعاداتـه.[2] فتظاهر كثيرون منهـم باعتناق الإسـلام، فتلفظوا بالشهـادة، وصلـوا مع المصلـين، وصاموا مع الصائمـين، وحجوا لبيت الله الحـرام، وأجـاد بعضهم تلاوة القـرآن بالتجويد، وناقشـوا في أمور الفقه. وممـن يمكن استثناؤه من ذلـك الرحالة بوركهارت الـذي أوصى بدفنه في مقابـر المسلمـين في القاهـرة، أما الاستثنـاء الثاني فهو داوتـي الذي جاب أجـزاء من الجزيـرة العربية دون أن يخفي مسيحيتـه أو نصرانيته، حسب

(1) فؤاد شعبان: (أعمال الرحالة والمبشرين في العالم العربي 1800–1915 تحليل وصفي)، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996)، ص 221.

(2) الفارس: الرحالة الغربيون، ص 567.

تعبيره، مما سبب له بعض المضايقات وعرض حياته للخطر أكثر من مرة.[1] كذلك أعلن لجمن عن نفسه علانية بأنه مسيحي، على نقيض غيره من الرحالين في الجزيرة العربية، الذين كانوا ينكرون عقيدتهم سعياً وراء التخفيف من أوضاعهم.[2]

ورأى فيلبي أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتخفيف حدة المعارضة العربية لوجود بريطاني غير مسلم في أرضهم، وقد أشار إلى ذلك بكل صراحة قائلاً: «لقد كنت أنا وهاميلتون Hamilton على حق فيما رأيناه من أن الرحالة الذين يذهبون إلى جزيرة العرب يجب أن يتعلموا كيف يتصرفون مثل العرب في كل مظاهر حياتهم، وليس عندي أدنى شك في هذا، وأتفق أبداً مع أي تحامل أو حكم يدين شخصاً بريطانياً لأنه أخفى هويته الحقيقة (كضابط أو سيد بريطاني)، ذلك التحامل الذي ربما كلف شكسبير حياته في عام 1915، ولا يجلب شيئاً إلا المزيد من مصاعب السفر في بلاد متعصبة». وتأييداً لهذا الرأي يستشهد فيلبي بنصيحة الرحالة الإيطالي (كارلو جوارماني Carlo Guarmani)، الذي ارتحل عبر بلاد شمر دون أن يغطي هويته الأجنبية بهوية محلية في مثل هذه الظروف: عند بوابة حائل كان هناك جثمان متعفن لأحد اليهود الفرس، قامت الجماهير بذبحه لأنه ادعى أنه مسلم، وبعد ذلك رفض ترديد الشهادة، وهذا المصير، حتى ولو كان محزناً، إلا أنه يجب الاعتراف بأنه كان يستحقه عندما يقرر رجل أن يخاطر بحياته في مغامرة خطيرة فيجب أن يسخر من كل ما أوتي من قوة

---

(1) أحمد عبدالرحيم نصر: التراث الشعبي في أدب الرحلات، (الدوحة: مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1995)، ص 16.

(2) الكولونيل لجمن: رحلة الكولونيل لجمن في الجزيرة العربية 1909-1910، خالد عبدالله عمر (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 86.

وأن يعد نفسه لمواجهة كافة عواقب هذه المغامرة.[1]

وشهد القرن التاسع عشر كذلك استقبال السيد سعيد، سلطان مسقط في عام 1835 أول بعثة أمريكية إلى الجزيرة العربية، وقد أظهر الأمريكيون جهلهم في مجال الرحلات، فقد صدقوا بدون مناقشة كل ما قاله السيد سعيد عن البدو الذين يقاتلون من داخل حفر يحفرونها في الرمال، ويدفنون أنفسهم فيها، ثم يشهرون سيوفهم فوق رؤوسهم، ويعتقد الأمريكيون مثل كثيرين غيرهم ممن سبقوهم بأن طريقة الأهالي في إعداد الطعام غير صحيحة، وقد كرهوا بالأخص طريقة تحضير الحلوى (بواسطة أقدام الزنج الحافية والمبللة بالعرق)، على حد قولهم.[2]

أما الرحالة الفرنسيون فقد كانوا سلسلة متعددة الحلقات، يتمم كل منها الآخر، فلا نجد هذه الأعداد من الرحالة لدى أي دولة أوروبية أخرى، كما أن رسوماتهم كانت أفضل بكثير من غيرهم من الرحالة، فحافظوا على السبق والتفوق، في القرن التاسع عشر، كما حافظوا عليه في القرون السابقة. ولكن هذا لا يعني أن نغفل كتابات هامة صدرت للرحالة البريطانيين.[3] إلا أن إسهامات الإسبان جاءت محدودة أو معدومة بالأحرى، وقد يكون مرد ذلك عدم اهتمام إسبانيا بالمنطقة نظراً لانشغالها في مستعمراتها واكتشافاتها في الغرب، وهو ما يفسر ندرة ما كتبه دبلوماسيوها ورحالتها في هذا الجانب، مكتفين بما قام به زملاؤهم من فرنسيين وإنجليز.[4] وما

(1) شاز: الطريق إلى الجزيرة، ص 275، 276.

(2) روبن بدول: الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، عبدالله آدم نصيف (ترجمة)، (الرياض: المترجم، 1989)، ص 184.

(3) ذهني: مصر، ص 13، 127.

(4) دومنجو باديا: رحلة إسباني في الجزيرة العربية رحلة دومنجو باديا (علي باي العباسي) إلى مكة المكرمة سنة 1221هـ/ 1807م، صالح بن محمد السيدي (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 1429)، ص 12.

يلفت الانتباه في تلك القافلة الطويلة من رحالة القرن، هو مشاركة العنصر النسائي، فقد كانت هناك نساء منهن من النبيلات[1]، ولكن للأسف الشديد لم ترق كتاباتهن إلى مستوى الرحالة من الذكور فقد حوت العديد من المبالغات والروايات المشكوك فيها.[2]

وكان حصاد هذه الانتفاضة الجمالية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، سيلاً من الإبداعات العالمية لم تلبث أن غمرت العواصم العالمية كلها، فتنبهت مجمعات التراث والمتاحف وقاعات المزادات التي تبيع وتشتري التحف الشرقية، وصارت تتهافت على اقتناء أعمال الفنانين المستشرقين، وصارت آلاف اللوحات التي تسجل ملامح الحياة الشرقية، سلعاً استثمارية راقية تتداولها الأيدي الخبيرة المدربة، وتعمر المكتبات العالمية بالأبحاث والمراجع والكتب المصورة، والنشرات الإعلامية، التي تعرف بهذه التحف الشرقية، فتتداولها أيدي الهواة وتجار التحف بجانب مندوبي المتاحف والمؤسسات التي تعنى بالفن والثقافات الإنسانية، وتنشط في الأسواق الرائجة في موسم السياحة الصيفية.[3]

واستمر تدفق الرحالة الغربيين، وازداد بشكل ملحوظ في أوائل القرن العشرين نتيجة لتعاظم الأنشطة السياسية الدولية، والتغييرات التي عرفتها المنطقة في تلك الفترة. وتفاوتت مهمات هؤلاء الرحالة، ما بين الاستكشاف العلمي والبعثات السياسية إلى جمع المعلومات الاستخباراتية، أو جمع عينات من الطيور والحيوانات والنباتات والحشرات[4]، وجواسيس

(1) جبر: الرحالة الفرنسيون، ص 13.

(2) ذهني: مصر، ص 11، 12.

(3) قطب: جماليات الشرق، ص 56.

(4) عبدالله بن محمد المطوع: (الرحالة الغربيون ورواياتهم عن الأحساء في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي/ الرابع عشر الهجري)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة

ومبعوثـين سياسيـين، وفي أثنـاء ذلـك رأينـا الرحالـة من أوروبـا يعبرون الرمـال ويتسلقون الجبال في الجنوب، وغرضهم الظاهر إقرار مواقع المدن والسهـول والوديـان بدقة، لكنهم بـدلاً من ذلك يتحركون مـن خلال أرض أحـلام اليقظة القديمـة، والأفكار الخيالية، فهم رسل ذلـك الوهم الشائع والروابـط والصلات بين أوروبا التي أصبحت غير مفهومة وبين بلاد العرب التي لم توجد أبداً، وعلى فرض وجودها فهي تتلاشى رويداً رويداً في الوقت الذي يراقبون تلاشيها التدريجي.[1]

وأوجـدت الحـرب العالمية الأولـى رحالة في مهمات رسميـة حكومية سرية، يتحلـون بصفـات الثقـة والهمـة والنشاط مـع توفـر الإمكانيـات القتالية العسكريـة، وانعدم احترامهـم للشعوب التي تقع واجباتهـم بين ظهرانيها، بحيـث كانوا يطلقـون النار على أي فرد إذا اقتضـت واجباتهم ذلك، هؤلاء الرحالـة أضافـوا إلى العالم الذي وصفوه بريقاً لماعـاً ذا لون مختلف، فلقد كانـت المغامـرات الغربيـة تنتظرهـم في كل حـدب وصـوب، فهنالك كمين ينتظرهـم دومـاً في كل جبل، والخيانة والغـدر في كل واد، وكانـوا يشعرون أنهـم شجعان يحملون نظامـاً عالمياً لا يتطرق إليه الشـك. وفي هذه الفترة بدأ ظهور نوع جديد من الرحالة الأبطال الذين بدأ الواحد منهم ينغمس في حياة البدو، بحيـث يسافر مسافات طويلة في ظروف صعبة، ويقطع الفيافي والقفـار، بنشاط وعـزم لا يضاهيه فيه حتى البـدو أنفسهم، ومع ذلك فلم ينـس الواحد منهم ولاءه وإخلاصه لبـلاده، وقد دخل كثير منهم الصحراء تلبيـة لخدمات مباشـرة لحكوماتهم، وبعضهم لم يكن لـه أي ارتباط بتلك الحكومات.[2]

العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000)، ص 353، 354.

(1) برنيث: بلاد العرب، ص 214.

(2) برنيث: بلاد العرب، ص 218، 222، 223، 251.

ويجدر بنا أن نذكر سيدتين بريطانيتين في رحلة إلى الشرق بعد الحرب العالمية الأولى، ذهبت الأولى تحت اسم الكونتيسة ماالميجانتي Countess Malmiganti، أما الثانية فكانت ليدي إيفلن كوبولد Lady Evelyn Cob-bold ادعت بأنها أول سيدة أوروبية قامت بالحج، والظاهر أنها قضت أوقاتاً ممتعة في الجزيرة العربية، حيث التقت بعدد من السيدات العربيات، وتجاذبت معهن أطراف الحديث والنقاش. فاختلفت تجربتها في مكة عن تلك التي مر بها غيرها من الرحالة الأوائل، الذين عانوا من الخوف على حياتهم.[1]

ومنذ أوائل سبعينات القرن العشرين وحتى الوقت الحالي، تقوم مجموعات من الكتاب الغربيين بالترحال في المنطقة، كصحافيين، أو ضيوف على الشعوب العربية ومجتمعاتها، وينبغي أن يلاحظ أن أولئك الكتاب ليسوا بالفعل مكتشفين أو رحالة مثل أولئك الرحالة المنتمين إلى الماضي، الذين غادروا أوطانهم بمبادرة منهم لاستكشافات شبه الجزيرة العربية والخليج، ومد جسور صلة تقوم على الانجذاب إلى الأرض الجديدة وشعوبها. وقدم هذا النوع الجديد من الرحالة المعاصرين مادة مستفيضة عن طرق حياة الخليج، الآخذة في التغير، ويبدو أن الرحالة إلى المنطقة ابتداء من حرب الخليج عام 1991 قد عادوا باهتمامهم مجدداً إلى الجغرافيا السياسية والاقتصاد، وليس إلى تصوير المجتمع العربي الخليجي وثقافته.[2] وهكذا نرى أن أدب الرحلة، أصبح بمثابة صناعة قديمة اختفت من الميدان.[3]

(1) بدول: الرحالة الغربيون، ص 125.

(2) حسين محمد فهيم: (كتابات الرحالة الحديثة عن الخليج)، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996)، ص 387، 388.

(3) عبدالهادي التازي: (أدب الرحلات: هل سيختفي من الساحة؟)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000)، ص 29.

دوافع وأهداف الرحالة

لماذا يسافر الرحالة؟ إنه يسافر لطموح شخصي يسعى لتحقيقه، إنه يحقق متعة ذاتية مباشرة، وربما يستطيع أن يضع صورة ما استمتع بها أمام أصدقائه، أو أمام المهتمين بالمجال نفسه من أعضاء الجمعيات العلمية أو الندوات الثقافية والاجتماعية، أو المجالس العلمية أو الباحثين أو غيرهم.[1] غير أن هذا لا ينفي أن الرحالة تتنوع نواياه وأهدافه ودوافعه، فكان هناك أصحاب النوايا الرديئة، وهناك الذين ذهبوا، وهم مأخوذون سلفاً بما راح مفكرو الغرب الكبار يكتبونه عن انبهار عن الشرق. كما كانت هناك فئة ذهبت إلى الصحراء، أو إلى (بلاد العرب)، بحثاً عن أنواع جديدة من الزهور، أو العوسج، أو اللبان.[2] إن معظم الرحالة الغربيين يرتحلون لتحقيق أهداف محددة، ولكن معظمهم كان يهدف إلى تحقيق تطلعات سياسية بتكليف من مسؤولين حكوميين. وتنقسم دوافع الرحالة كالتالي:

حب السفر والترحال: الرحلة إلى الشرق أيضاً حنين إلى الماضي.[3] وحباً في المغامرات والاستطلاع، والرغبة الملحة في زيادة المعرفة.[4] والترويح عن النفس، والتعرف ولو بصورة عابرة إلى مواطن جديدة وعادات أخرى.[5] كما فعل بيرترام توماس، وآن بلنت وزوجها.[6] لقد سُحر الرحالة بالصحراء.[7]

---

(1) جمال محمود حجر: (رحلة ليدي آن بلنت إلى حائل)، مجلة تراث، العدد 121، (سبتمبر 2009)، ص 30؛ جمال محمود حجر: الرحالة الغربيون في المشرق الإسلامي في العصر الحديث، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008)، ص 9، 10.

(2) عطا الله: قافلة الحبر، ص 15.

(3) برنيث: بلاد العرب، ص 54.

(4) نصر: التراث الشعبي، ص 12.

(5) جبر: الرحالة الفرنسيون، ص 14.

(6) حجر: رحلة ليدي آن بلنت، ص 36.

(7) عطا الله: قافلة الحبر، ص 12.

يقول ويلفريد ثيسجر: «لاحظت أن سحر هذه الرحلة بالنسبة لي، لم يكن في مشاهـدة هذه البلاد فقط، وإنما في مشاهدتها تحت هذه الظروف فالمشاق والأخطار اليومية والجوع والعطش والتعب من السير الطويل، تعكس الظروف القاسيـة لحيـاة البدو التـي سعيت إلـى التأقلم معهـا».[1] وشكلـت البادية الحرية، تقـول آن بلنت: «أصبحنا ثانية تحت سيطرة القانون العثماني، إنه المكان المتوسط بين الحرية المطلقة في البادية والقيود الأوروبية».[2] كما أنها رمز الأمـان «ومن هذا المشهد علمت أن البادية تنعـم اليوم بأمان».[3] وهي عنـد المس بيل: «حيث ينمو العشب ويتدفق الحليب في الخيام السود، فيرفل الإنسان والحيوان بأثواب الرخاء».[4]

وهنـاك أيضاً الرغبة الملحة في استجلاء سحـر الشرق وغموضه ومشاهدة معالمه بوصفه عالماً غريباً عن أعين الأوروبيين، يقول ثيسجر عن رحلاته في الأهـوار: «وجودي هنا معهم هو للمتعة ومساعدتهـم إن أمكن».[5] وفي ذلك يقول ديللافاليه: «كان يدفعني شوق شديد منذ زمن طويل للتوغل في الشرق خاصة...، فأزور تلك الأقطار التي طالما سمعنا عنها، وأطلع على أمور كثيرة جديرة بالاهتمام، وأتمحصها بنفسي لإشباع رغبة كانت كامنة في نفسي».[6]

(1) ويلفريد ثيسجر: الرمال العربية، (أبو ظبي: موتيف ايت للنشر، 1992)، ص 9.

(2) الليدي آن بلنت: قبائل بدو الفرات عام 1878، أسعد الفارس؛ نضال خضر معيوف (ترجمة)، (دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، 1991)، ص 394؛

Lady Anne Blunt: Bedouin Tribes of the Euphrates, 2. Vol. (London: John Murray, 1879), P. 354.

(3) بلنت: قبائل بدو الفرات، ص 301؛

Lady Anne Blunt: Bedouin Tribes, P. 267.

(4) المـس بيـل: العراق في رسائل المـس بيل 1917-1926، جعفـر خياط (ترجمـة)، عبدالحميد العلوجي (تقديم)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2003)، ص 73، 74.

(5) ويلفريـد فيسجير: رحلـة إلى عرب أهوار العراق، خالد حسن اليـاس (ترجمة) (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 357.

(6) ديللافاليـه: رحلـة ديللافاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشـر، بطرس حداد (ترجمة)، (بيروت:

وكان حب الشرق الرومانسي العاطفي أحد الأسباب يقول كورتلمون: «أحب الشرق، وسماءه الزرقاء، أحب الإسلام في عقيدته البسيطة، وأنا معجب فيه بفسحة الأمل التي لا تعرف القنوط، ولكنني لا أجرؤ على الاعتقاد بها، وقد حددت لهذا الكتاب هدفاً هو التعريف بتلك البلاد، بلاد الإسلام، لكي يحبها الناس، تلك البلاد المشمسة، الغافية، بلاد الجمال، والحلم، والحزن، بلاد السلام، والسعادة المطمئنة».[1] ويضيف بوركهارت في رسالة لوالديه: «ثم تشرق الشمس في أبهة لا يمكن وصفها وتغمر هذا البحر الرملي... وأي قلب خال هو القلب الذي لن يمجد خالقه».[2]

دوافع علمية: ما من شك في أن نهضة أوروبا قامت على العلم والمعرفة ومحاولة الاكتشاف وسبر المجهول والإحاطة والتحليل والموازنة والترتيب والاستنباط لبلوغ الحقيقة.[3] فمن الرحالة من سعى إلى المجهول وراء البحث العلمي، يقول لودفيكو دي فارتيما: «إن سألني أي إنسان عن سبب رحلتي هذه، فمن المؤكد أنه لا يوجد سبب أفضل من القول إن رغبتي المتقدة في المعرفة، التي دفعت الكثيرين من الناس لرؤية العالم ومعجزات الخالق...، فإنني عزمت على زيارة ووصف الأماكن التي ليست معروفة معرفة كافية».[4] وكان هدف رحلة شارل هوبير البحث عن العلم والمعرفة، وفي ذلك يقول: «استفسر (الأمير ابن رشيد) عن هدف رحلتي...، فهو لا

الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 19، 20.

(1) جيل – جرفيه كورتلمون: (رحلتي إلى مكة 1894م) (2)، محمد خير البقاعي (ترجمة وتعليق)، مجلة العرب، الجزء 9، 10، السنة 37 (يونيو – يوليو 2002)، ص 445، 446.

(2) عطا الله: قافلة الحبر، ص 54.

(3) محمد بن عبدالهادي الشيباني: (أهداف الرحالة الغربيين في الجزيرة العربية)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000)، ص 545.

(4) بدول: الرحالة الغربيون، ص 23.

يعتقـد أبداً أن العلم وحده يدفع أياً كان للسفر في صحاري الجزيرة العربية حيث لا يرى هو فيها أي شيء علمي على الإطلاق».[1]

كما اتخـذ بعض الرحالة مـن الترحال وسيلة لجمع المعلومـات الجغرافية، ودراسـة عـادات الشعـوب وأحوالهـم المعيشيـة الاقتصاديـة والسياسيـة والعسكريـة والسياسية، فالرحالة يرسل لجمـع المعلومات والأخبار، وليدون المشاهدات لصالح بلاده أو الجهة التي أوفدته (فالرحالة يبدأ رحلته، وتكون وراءه أمة ذات سلطان تدعمه بنفوذها العسكري والاقتصادي والروحي)[2].

وعـن هدفه يقول أوبنهايم: «حرصت علـى الحديث عن البلاد والناس، عن تطورهم التاريخي، وعن انتماءاتهـم العرقية والدينية».[3] وكان هدف لوثر شتاين بحثي فيذكر: «لقد امتلأ كتاب مذكرات رحلتنا بالملاحظات، كما أن أفلامنـا قد صـورت الحياة اليومية للبدو، كما ثبتت علـى أشرطة التسجيل أصـوات البـدو في أغانيهـم وحكاياتهم، وبهـذا نكون قد حققنـا برنامجنا البحثي».[4]

دوافـع دينية: فهناك الرغبة في الحـج، وزيارة الأماكن التي ارتبطت بسيرة المسيـح، عليه السلام، وفي طليعة الحجاج إلى الأراضي المقدسة، يبرز الأب مـاري جـوزف دي جيرامـب M. J. de Geramb الذي صـرح «بأن الهدف من رحلته إلـى الشرق كان زيارة الأماكن المقدسـة للصلاة والاستغفار».[5]

---

(1) شارل هوبير: رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878-1882، إليسار سعادة (ترجمة)، (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2003)، ص 52.

(2) الفارس: الرحالة الغربيون، ص 558.

(3) ماكس فـون أوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج: لبنان وسوريـا، محمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008)، ص 11.

(4) لوثـر شتاين: رحلة إلى شيخ قبيلـة شمر مشعان الفيصل الجربا سنة 1962، قسم الترجمة في المؤسسة (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2011)، ص 79.

(5) جبر: الرحالة الفرنسيون، ص 18، 19.

كذلـك وجدت رغبة قوية لدى المسيحيـين الأوروبيين في الوقوف على أوضاع إخوانهـم المسيحيين الشرقيين خاصة عندما خضعوا لسيطرة قوى سياسية غـير مسيحية مثل القوى الإسلامية، ولم يكن مـن اليسير معرفة ذلك دون الارتحـال إلى هناك ومتابعة أوضاعهم عن كثب.[1] ومن المعروف أن الدافع الأساسـي لحركـة الكشوف الجغرافيـة لم يكن اقتصادياً بحتـاً، وإنما كان دينياً أيضاً على أساس أنها تتيح فرصة لتحطيم سيطرة المسلمين على طرق التجارة مع الشرق، والعمل على كسب أراض وميادين جديدة للمسيحية.[2]

وهناك الرحالـة المبشرون بالمسيحية المشحونـين بالتعاطف الديني، كنمط جديـد من أنمـاط الرحالة، جـاؤوا وأهدافهـم معلنة، فقـد احتلت النزعة التبشيريـة على الدوام مكانة مركزيـة في الأيديولوجيا المسيحية، أما سبب الاختيـار فلخصـه المبشر صموئيل زويمـر بقوله: «إن من بـين الدوافع إلى العمل في المنطقة، الأسباب التاريخية، فللمسيح الحق في استرجاع الجزيرة العربيـة، التي أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا، في الخمسين سنة الأخيرة، أن المسيحية كانت منتشرة فيها، في بداية عهدها».[3] ومن الرحالة المبشرين الثلاثـة: بالغريف، جورمـاني، داوتي، الذين ارتحلوا مـن أجل أن (يمضوا ويعلنـوا للكفـرة أن عيسـى اليسوع قد جـاء ولينشروا نـور الإنجيل في بحر الظـلام)، ونصـح المبشر هـنري جيسـوب Henry Jessup مجمع كرادلته بـأن الكتاب المقدس ينبغي أن تُلقـى عظاته على (أبنـاء الشيطان المكبلين والغارقين في الحـزن والعذاب في الأراضي المحمديـة الهمجية)[4]، ولكنهم

(1) عوض: الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس، ص 16، 17.

(2) الشيباني: أهداف الرحالة، ص 524.

(3) خالـد البسام (إعـداد وترجمة): صدمة الاحتكاك، حكايات الإرساليـة الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية 1892-1925، (بيروت: دار الساقي، 1998)، ص 5، 6.

(4) شعبان: أعمال الرحالة، ص 223، 227، 228.

عـادوا دون أن يحققـوا أهدافهم. فجاء (أكثرية هـؤلاء وهم يحملون الكره للإســلام، وجاء آخرون يدعون أنهم أبناء الإسلام، أما الباقون فجاؤوا وفي نيتهـم أن يستغلوا الإسلام. لكـن أحداً منهم لم يغادر هـذه الأرض إلا وهو يكن للإسلام احتراماً عميقاً إلى أبعد الحدود، والبعض أشهر إسلامه، أما أولئـك الذين لم يتغيروا بعد هـذه التجربة العميقة، فقد ماتوا بأيديهم).[1] وحـين نعدهم من الرحالـة فلأننا نجد في مذكراتهـم الحديث عن ظروف المعيشـة وطبائع الناس، بالإضافة إلى المعلومـات الجغرافية.[2] فالمنصرون نـادراً ما كانوا يغفلون جانباً مـن جوانب الحياة، وكانـوا يبالغون أحياناً في إظهار سيئات المناطق والشعوب، الذين اتصلوا بها لأنهم يعتقدون أن عليهم واجباً كبيراً هو إصلاح الأوضاع.[3]

ترجمـات معاني القرآن الكريم: كان التبشير بالمسيحية هو الدافع الحقيقي وراء الاهتمـام بترجمة معاني القرآن واللغة العربية، فكلما تلاشى الأمل في تحقيـق نصر نهائي بقوة السلاح علـى المسلمين، بدأ التفكير في سبيل آخر، وهنـا أدرك القسيسـ بطرس رئيسـ دير كلـوني (ت 1157م)، أنه لا سبيل إلـى محاربة الإسلام، إلا بمعرفة لغـة المسلمين وديانتهم، فوضع خطة عمل لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية[4]، وترجم بعض الكتب في التاريخ الإسلامي، وعلم الكلام. فالنضال ضد الإسلام عن طريق الوعظ والإرشاد والحوارات الدينية تتطلب الاهتمام بتعاليم الخصم، والوقوف على حججه، ولهذا حرصت القيـادات الروحية على خلق كوكبة متعلمة تتعرف على اللغة

(1) عطا الله: قافلة الحبر، ص 47، 301.

(2) الفارس: الرحالة الغربيون، ص 596-598.

(3) فاطمـة حسـن الصايـغ: (الساحـل المتصالـح في كتابـات المنصرين)، في كتـاب: عبيد علـي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996)، ص 304.

(4) الحيدري: صورة الشرق، ص 22.

العربية وأســرار الديانة الإسلامية.[1] وقد أثرت حركة الترجمات هذه على الترحــال إلى الشرق، فدفعــت الكثير من الرحالة لأجل تعلــم اللغة العربية والدين الإسلامي لدحض ذلك الدين المحمدي.

الحــروب الصليبية: فما حملــه المحاربون الأوربيون في الحــروب الصليبية معهــم من ذكريات وانطباعات وأقاصيص عن مغامراتهم ومشاهداتهم في ربوع الشرق، يروونها بين ذويهم ومواطنيهم، تركت الأثر في نفوس ومشاعر الغربيــين عن صور الشــرق وجمالياتــه وملامحه الأسطوريــة.[2] بل إن من هــؤلاء الرحالة من أرادوا أن يفهمــوا الشرق فهماً صحيحاً، كي يتعرفوا إلى أسباب فشل الحملات الصليبية لتداركها في المستقبل.[3]

دوافع اقتصاديــة: وفي طليعتها السيطرة الاقتصادية، والبحث عن الأسواق الجديدة لتصريف البضائع المصنوعة، والحصول على المواد الخام بأرخص الأثمــان، يضــاف إلى ذلــك شهوة الاستيــلاء والتوسع والسيطــرة، وقد بلغ التنافــس بين الدول الأوروبيــة حداً دفع البعض منها إلى تجنيد كل ما لديها من إمكانيات مادية وأدبية لتحقيق ذلك، فكانت بعوثها وسفاراتها وقناصلها يجوســون خلال البلاد متنقلين بين أصقاعها، بين بواديها وجبالها، بحارها وصحاريهــا، ولم يفُت في عضدهم صعوبــة، ولم تثنهم عن متابعة أسفارهم مشكلــة، ولا عاقهم عائق.[4] وبعضهم قــدم مع بعثات اقتصادية، فالفرنسي (لــوران دارفيو) قام برحلة إلى الشرق على رأس بعثة تجارية أوفدها الملك

(1) الشيباني: أهداف الرحالة، ص 520، 521.

(2) قطب: جماليات الشرق، ص 54.

(3) زيادة: الرحالون المسلمون، ص 135.

(4) كارســتن نيبور: رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، محمود حسين الأمين (ترجمة)، (بغداد: شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، 1965)، ص 4.

لويس الرابع عشر[1]، وقام بالجريف برحلته إلى نجد والأحساء بتكليف من نابليون.

دوافع اجتماعية: حيث أتى العديد من الرحالة إلى الشرق بهدف دراسة أوضاعه الاجتماعية، والتعرف على عاداته وتقاليده.[2] وأحياناً اهتم البعض منهم بالصحراء لدراسة أحوالها الطبيعية وحياة سكانها من البدو والخيول العربية والحيوانات الأخرى والنباتات المختلفة الأنواع.[3] أما دومنجو باديا فقد كتب قبل الشروع في رحلته إلي الشرق: «بعد أن قضيت عدة سنوات في بلاد المسيحيين، أدرس علوم الطبيعة والفنون التي لا يستغني عنها الإنسان، عزمت أخيراً على زيارة بلاد المسلمين، ومن خلال أداء فريضة الحج سوف يتسنى لي دراسة سلوك وعادات وطبيعة البلاد التي سوف أمر بها، خدمة للوطن الذي اخترته مثواي الأخير».[4]

دوافع سياسية: كان منهم من يكلف بمهام سياسية أو جاسوسية، ومن بينهم من أوفدته الحكومات لدراسة طبيعة الأرض، أو لدراسة القبائل، أو لأغراض سياسية، أو لإثارة الفتن، أو فيما بعد لتقصي الإمكانات النفطية. ومنذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ركزت مذكرات الرحالة على المهام التي جاؤوا من أجلها، خاصة أن بعضهم كانوا ينتمون إلى هيئات أو مؤسسات علمية أو يراسلونها مزودين إياها بمعلومات دقيقة حول الأرض أو السكان أو كليهما. فبوركهارت مثلاً أرسلته الجمعية الجغرافية، وداوتي كان يبعث بوصفه ورسوماته إلى عالمين فرنسيين متخصصين في الدراسات

---

(1) عطا الله: قافلة الحبر، ص 16.

(2) جبر: الرحالة الفرنسيون، ص 22.

(3) شريف يوسف: (اكتشافات الرواد والرحالين الغربيين في شبه الجزيرة العربية وأثر العرب في علم الجغرافية)، مجلة المورد، المجلد 11، العدد الثاني (صيف 1982)، ص 16.

(4) باديا: رحلة إسباني، ص 85.

السامية في باريس. وقرأ جورج فالين تقريراً عن رحلته الأولى أمام الجمعية الجغرافيــة الملكية الدنماركية.[1] وقام بيرتون برحلته بتكليف من (الجمعية الجغرافيــة الملكية البريطانيــة).[2] ويفصح بورخارت عــن نواياه، والسبب الــذي دعاه للترحال، قائلاً: «مــا من عربي صدقني بأننــي أسافر من أجل المتعة، ففي نظرهم لا يسافر الواحد منا إلا بغاية كسب المال أو لأجل التجسس علــى بلدهم».[3] وكانت جيرترود بيــل Gertrude Bell (من المخابرات التي خصصــت لها الدولة الإنجليزية مبلغ خمسة آلاف ليرة إنجليزية).[4] وقام ليــون روشــ برحلته بتكليف من الحاكــم الفرنسي علــى الجزائر، واكتشف أمره في النهاية، وتم تهريبه بصفته جاسوساً نصرانياً.[5]

كمــا يتضــح الدافــع السياســي للرحلة من الــدور الذي قام بــه هاري جون فيلبــي عندما بعثت به الحكومة البريطانية إلى نجد، ورغم الظاهر البحثي الأكاديمــي لمهمــة فيلبــي، إلا أنه بحكــم وظيفته كان يبحــث في قضايا ذات أبعــاد سياسية أو تاريخية يثبت مــن خلالها حقوقاً معينة.[6] وقام الكولونيل تشيــزني بمسح الفــرات، بتكليف من وليم الرابــع، وكارل شوان بتكليف من المخابــرات الألمانيــة، ولاسكاريس بتكليف من قادة حملــة نابليون في مصر،

(1) نصر: التراث الشعبي، ص 15.
(2) الشيباني: أهداف الرحالة، ص 536.
(3) نيبا وهربسترويت: رحلة عبر الخليج، ص 23؛

Annegret Nippa، Peter Herbstreuth: Along the Gulf from Basra to Muscat، Photographs by Herman Burchardt، (London: Verlag Hans Schiler، 2006)، P. 13.

(4) سهيل صابان: (تصاريح السفر للرحالة المستشرقين إلى الجزيرة العربية من خلال الوثائق العثمانية)، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد 9، العدد 1، (2003)، ص 224.
(5) حجر: الرحالة الغربيون، ص 10، 11؛ بلقاسم سعدالله: (رحلة ليون روش إلى الحجاز 1841-1842)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000)، ص 249-282.
(6) حجر: الرحالة الغربيون، ص 12 - 15.

ولورنس بتكليف من المخابرات البريطانية.[1] وقاد نيبور بعثة علمية سياسية بتوصية من ملك الدنمارك[2]، ولو لم يكن للبعثة، هدف سياسي يعبر عن طموحات سياسية لما قوبلت بكل ذلك القدر من الاحتفاء الرسمي والشعبي، فقد ذكر توركيل هانسن «أن الناس في مدينة كوبنهاجن قابلوا سفر البعثة بزهو وطني كبير، وأحسوا بأنهم قد ملكوا الدنيا وهم يقومون بهذا العمل العظيم».[3] ولا يغيب عن أذهاننا دور توماس ولورنس الذي أطلق عليه لورنس العرب في قيادة الثورة العربية وتوحيدها ضد الوجود العثماني، وكان للورنس دور بارز في دغدغة أحلام العرب بالحرية والدولة.[4]

وكان عدد غير قليل من هؤلاء الموفدين مرتبطين بدوائر المخابرات ويعملون بتوجيهها، تحقيقاً لأهداف إستراتيجية ومصالح عليا في منطقة الشرق الأدنى، بل نجد من بين النساء الغربيات رحالات قمن بخدمة أوطانهن خدمة فاقت قدرات الرجال جرأة وجسارة، وتركن بصمات واضحة في تاريخ أدب الرحلات، ومن أشهرهن: جين دغبي (Jane Digby 1807–1881)، وأيستر ستانهوب (Hester Stanhope 1776–1839)[5]، وإيزابيل بورتون Isabel Burton، والليدي آن بلنت Anne Blunt، وفريا ستارك (Freyas Stark 1893–1993).[6]

وهناك أيضاً من عمل في خدمة الحكام المحليين، فقد كلف محمد علي باشا والي مصر (1805–1849) الرحالة فالين ليرفع إليه تقريراً عن إمارة ابن

(1) آن بلنت: قبائل بدو الفرات، ص 5، 6.
(2) توركيل هانسن: من كوبنهاجن إلى صنعاء، محمد أحمد الرعدي (ترجمة)، (صنعاء: الهيئة العامة للكتاب، 2001)، ص ج.
(3) هانسن: من كوبنهاجن، ص و.
(4) الشيباني: أهداف الرحالة، ص 543.
(5) جمال محمود حجر: (ليدي إستر ستانهوب في بلاد العرب)، مجلة تراث، العدد 127، (مارس 2010)، ص 36.
(6) الفارس: الرحالة الغربيون، ص 563.

رشيد في جبل شمر ليمد نفوذه إليها.[1] وقام خورشيد باشا من موظفي قلم الكتابة بوزارة الخارجية برحلته بتكليف من الباب العالي ليقدم تقريراً للسلطان العثماني محمود الثاني بعنوان سياحتنامة حدود.[2]

الإمبريالية والاستعمار: منذ فجر التاريخ كان الرحالة أو المكتشف هو أول شخص تطأ قدماه أراضي الآخرين لاكتشاف مجاهلها، لذلك يقال: إن الوسيلة التقليدية المتعارف عليها في الأوساط الغربية لاكتشاف منطقة ما هي أن يأتي الرحالة ثم المنصر ثم الجندي ثم التاجر لتستكمل بذلك حلقة الاستحواذ، وهذا التسلسل يوضح الأساليب التي اتبعها الأوروبيون لفتح منطقة ما، وهي أن يرسلوا أولاً البعثات الاستكشافية ثم يبدؤوا بتهيئة الناس لاستقبالهم بإرسال المنصرين، وحينما يوقنون بأن الأمور أصبحت مهيأة يرسلون الجيوش العسكرية، وبعدها يبدؤون في الاستغلال الاقتصادي.[3] وما تلك الرحلات الاستطلاعية التي دأب الرحالة على القيام بها إلا جزءاً من المخطط واستكمالاً لأدوات التوسع الإمبريالي، وإن كانت الطريقة قد اتخذت تبريراً أخلاقياً أو عقلانياً أو عملياً لعملية أمراً واقعاً.[4]

وكان دافع بيرتون شخصياً وإمبريالياً، فبالرغم من ولعه الشديد بالجزيرة العربية إلا أنه كان مضطراً إلى أن يربط دائماً هويته بالإمبراطورية البريطانية، وظهر ذلك في غضون جولاته وترحاله حيث اصطبغ بالطابع الإنجليزي. وفي مواضع عديدة ذكر أن هذه الأرض (غير المتحضرة) تصرخ طلباً لنجدة السادة الإمبرياليين.[5]

---

(1) نصر: التراث الشعبي، ص 14.

(2) خورشيد باشا: رحلة الحدود، ص 11.

(3) الصايغ: الساحل المتصالح، ص 306.

(4) عمار السنجري: البدو بعيون غربية، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2008)، ص 127.

(5) شاز: الطريق إلى الجزيرة، ص 66، 101.

أما داوتي الذي تعمد دخول الجزيرة العربية في شخصية نصراني لا متخفياً في هوية إسلامية، واستمر في رحلته مواجهاً التعصب العربي وكثيراً من المتاعب التي واجهها في هذه المنطقة، فإنه كان عليه أن يعود إلى إنجلترا بمعلومات جيولوجية وتاريخية عن هذه البلاد، ورغم أن هذا الدافع ليس هو الدافع الرئيسي، إلا أنه أهمها، ورغم أنه لم يسبق له الذهاب في أية مهمة إمبريالية إلا أن التطابق التام مع أهداف الإمبراطورية البريطانية يبدو واضحاً. لقد كان لديه إيمان واضح بتفوق العرق البريطاني، ورغم أنه لم يكن الرحالة الوحيد الذي تحمل المعاناة الجسدية والجوع والتعذيب النفسي في الصحراء، فإن إحساسه القوي بالروح النصرانية وانتماءه لإمبراطورية قوية أجبراه على التعامل بلغة التعالي والكراهية التي اختص بها دون غيره.[1]

وكانت إقامة لورانس في الصحراء، على عكس كثير من الرحالة المستشرقين، لغرض إمبريالي واضح، لقد عبر لورانس عن هذه النية ببلاغة تامة في (أعمدة الحكمة السبعة)، حيث كتب يقول: «لقد أردت أن أصنع أمة جديدة، وأن أستعيد تأثيراً مفقوداً، وأن أعطي عشرين مليوناً من الساميين الأساس الذي يستطيعون أن يبنوا عليه صرحاً ملهماً لأفكارهم القومية». ومنذ اليوم الأول لدخوله صحراء شبه الجزيرة العربية، كانت عينا لورنس منصرفة إلى البحث عن رجل يمكن استخدامه كأداة تخدم مخططاته الإمبريالية. ينظر إليه فريق من النقاد على أنه مجرد عميل بريطاني قاتل من أجل إرساء دعائم المصالح الإمبريالية البريطانية بالمنطقة، وليس من أجل القضية العربية. ورغم محاولته الغوص في ثقافة العرب حتى يكون واحداً منهم يرى العالم بعيونهم، إلا أن نظرة لورانس للعرب ظلت نظرة المستعمر.[2]

(1) شاز: الطريق إلى الجزيرة، ص 154، 169.

(2) شاز: الطريق إلى الجزيرة، ص 202، 203، 239.

دوافع ثقافيــة: يقصد السائح الغربي الشرق عامــة، والعراق خاصة، لأجل التجول فيــه والتنقيب عن الآثار الخالدة ومشاهدة مــا شيده الأقدمون من الأبنيــة الساميــة والقصور الفخمــة، فيؤلف كتاباً مزينــاً بالرسوم والصور محتويــاً علــى جميع ما شاهــده وسمعه من غريب الحكايــات واصفاً الآثار، وترجمــة مــا يجده مكتوبــاً على صخورها، وذكــر الأعــراب النازلين حولها والنازحين عنهــا وأنسابهم ورؤسائهــم وآدابهم ومعاشرتهــم ومهنهم، وما قصــده من هــذا كله إلا خدمــة أبناء قومــه، ويكتسب كذلك شهــرة تخوله المنزلة العليا بين أقرانه، ويخلد أثراً يذكره الناس به.[1]

ومــن الرحالة الذين قصدوا المنطقة العربية النمساوي ألويس موزيل Alois Musil (لدراسة بعض المباني القديمة والآثار العتيقة من المنظور العلمي).[2] ولم يكــن الألماني يوليوســ أويتنج Julius Euting ببعيــد عن الهدف العلمي في رحلتــه حيــث حصل مــن خلالها علــى آلاف النقوش الآراميــة والنبطية والسبئيــة واللحيانيــة، ونشرهــا في مؤلفــات عديــدة[3]، وعن هدفــه يقول: «اقتربنــا الآن أكثر من بنايات المقابر الرائعة في مدائن صالح ذات النقوش النبطيــة الطويلة علــى واجهاتهــا، والتي مــن أجلها كان الهــدف الرئيسي لرحلتي إلى جزيرة العــرب».[4] أما فولني Volney فيقول عن دافعه: «رأيت في ثروتي وسيلة جديدة لإرضاء نزعتي، وفتح آفاق أوسع لثقافتي، وكنت قد قرأت وسمعت بالترداد أن السفر أنجع الوسائل لتجميل العقل وتهذيب قوته المميزة، فصممت على السفر».[5]

---

(1) كاظم الدجيلي: (السائح الغربي في العراق العربي)، مجلة لغة العرب، الجزء 7، السنة الثالثة، (كانون الثاني 1914)، ص 366.

(2) صابان: تصاريح السفر، ص 222-224.

(3) الشيباني: أهداف الرحالة، ص 548.

(4) أوتينج: رحلة، ص 220.

(5) فولنــي ســ. ف.: ثلاثة أعوام في مصر وبر الشــام، إدوار البستاني (ترجمة)، (بــيروت: منشورات دار

رحـلات الرسـامين: ظهر هـذا الدافع بشكل أوضح، بعـد الحملة الفرنسية علـى مصر، إذ بدأت رحلات الرسامين إلـى العالم العربي، بحثاً عن سحر الشـرق وأحلامـه، وسعيـاً لإثـراء وسائل التعبـير، من خـلال الانطباعات الحسية والألوان، وتوزيع الضـوء والظلال، فرحل عدد من كبار الرسامين، مجذوبـين بسحر الأراضـي المقدسة ومدفوعـين إلى استيحـاء موضوعات جديـدة، مـن البيئة التي نشأ فيها المسيح. ورحل آخـرون متطلعين إلى رؤية عـالم مغاير في مدن الشرق والطبيعة الساحـرة والعالم الخيالي، ومن أجل حفـز خيالهم وقدراتهـم الإبداعية، وتطوير الأطـر التقليدية في فن الرسم الأوروبي، وقد بالغ هؤلاء الرسامون في تقديم لوحات لمناظر طبيعية أو لمدن شرقيـة، مبرزيـن فيها الجوامـع والحمامات وقوافل الجمـال والحريم، في تفاصيل وتضخيمات بعيدة عن الواقع. وكانت صوراً صاخبة الألوان لقصور وأبراج تظهر عالم الحريم الفاتن من جهة، وعالم الرجال الغلاظ، بسيوفهم وعمائمهـم وعبيدهم، حيث تقطع الرؤوس وتدق الأعنـاق. وكان أغلب تلك اللوحات الفنية مجرد انعكاس لتصورات غريبة، بعيدة عن الواقع.[1]

كتـاب وصف مصـر: أصدر علماء الحملـة كتاب وصف مصر Description de l.Egypte، في أربعـة وعشرين مجلداً في الفترة (1809–1813)، وكان له دوي منقطع النظـير في الأوساط الأوروبية العلمية والثقافية، ولقد أظهر الكتـاب الآثـار المصرية القديمـة بكل دقة، ممـا لعب بخيـال وعقل العالم الغربـي، وفتح مجـالاً لدراسات مستفيضـة لمصر الفرعونيـة وفك الرموز الهيروغليفيـة، ولاقتناء ما أمكـن من آثارها.[2] واجتـذب أنظار الأوروبيين إلـى الـتراث الحضـاري الضخم لمصـر، وأهميتهـا الإستراتيجيـة، كذلك

المكشوف، 1949)، ص 7، 8.

(1) الحيدري: صورة الشرق، ص 45.

(2) كرارة: رحالة وسائحون، ص 39.

أسهمت إبداعات الرحالة والأدباء وتقارير الباحثين والقناصل والإرساليات والخـبراء وضغوط المصالح السياسيـة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في ازدياد الوعي العام بالشرق.[1]

الاستشـراق: لعـب الاستشراق دوراً فاعـلاً في دفع عدد كبير مـن الرحالة لزيـارة الشـرق، لدراسة واقعـه السياسـي والاقتصادي والدينـي والثقافي والآثـاري.[2] وتعتبر كتابات الرحالة جزءاً لا يتجـزأ من نشاط الاستشراق، وآثـار المستشرقين تعتـبر حلقة هامة من تـراث الإمبراطوريات المستعمرة، التـي كانت ترغب بتوطـين نفسها في المستعمرات أطول مـدة ممكنة.[3] ولما ازداد رخـاء أوروبـا لما تدفق عليها مـن خيرات مستعمراتهـا، اتسعت آفاق العلـم وازدادت الرغبة في المعرفة، فنشطت حركـة الاستشراق في كثير من البلاد الأوروبية، وتوجهت عنايتهم إلى دراسة التراث العربي وأحوال العرب وبلادهم وتاريخهم وآدابهم.[4]

وتحقـق في القـرن التاسع عشـر، تقدم كبـير في مجال الدراسـات العربية الإسلاميـة، وظهر في أوروبـا علماء تصدوا لنشر هـذه الدراسات، وأنشأوا في سبيـل ذلك المدارس والمعاهد والكليات الجامعيـة، وحفز هذا الاهتمام والتقـدم على شراء المخطوطات العربية بكميـات ضخمة وبيعها أو إهدائها إلـى المكتبـات العامـة والخاصـة في أوروبا، حيـث سهـر المستشرقون على تحقيقهـا ونشرهـا نشراً علميـاً وتزويدهـا بالفهارس الدقيقـة وأصدروا المجلات والدوريات العلمية الشرقية، وشكلوا جمعيات خاصة لجمع شملهم وتنظيـم جهودهم وتبـادل الآراء والنظم والمناهج والوسائـل، وبدأت أوروبا

(1) عرفة عبده علي: (القاهرة القديمة في عيون فرنسية) مجلة سطور، العدد 7، (يونيو 1997)، ص 60.
(2) مجموعة من المؤلفين: رحالة أوروبيون في العراق، (لندن: دار الوراق للنشر المحدود، 2007)، ص 7.
(3) بلنت: قبائل بدو الفرات، ص 7.
(4) الصياد: الرحالة الأجانب، ص 118.

تنظـر إلى الدراسات العربية والإسلامية بوصفها فرعاً من فروع الدراسات الإنسانية، ورافداً من روافد الحضارة.[1]

ترجمـة ألف ليلـة وليلة: ترجم الروائـي الفرنسي أنطوان جـالان لأول مرة في القـرن الثامن عشـر، قصص ألف ليلة وليلة إلـى الفرنسية، الأمر الذي أدى إلى تطـور الدراسات الاستشراقية في فرنسا تطوراً كبيراً. وكان جالان قـد تعـرف بالشرق، خـلال رحلاته الكثـيرة إليـه، كما تعـرف بالقصص والأساطـير والحكايات الشعبية، التي كانت تروى في شوارع بغداد والقاهرة ودمشق، ومقاهيها. فأمدته هذه بالقدرة الفنية البارعة على تكييف السحر الشرقـي مع روح العصر، الذي عاشته فرنسا، حينذاك. ومن ذلك التاريخ، حاولت أوروبا المتجهمة، والضجرة من بؤس المدنية الصناعية الجديدة، أن ترى، في الشرق (صورتها المغايرة: ومهرب رغباتها المكبوتة وأحلامها، فقد كشفت ألف ليلة وليلة عن تذوق جمالي وحس شاعري وسحر شرقي لم يعهده الأوروبيون قبلاً، وكان لذلك تأثير كبير في تغير صورة الشرق الجامدة).[2]

ويتضـح تأثـير ألف ليلـة وليلة على الرحـلات إلى الشرق مـن استشهاد آن بلنت بمقاطع منها: «حملت معي رسائل إلى تاجر غني في بغداد».[3] وها هو سوانســن كوبر يقول: «لا أصاب بالدهشة إذا مـا عرفت أنه الموطن الأصلي لبعـض الجن والعفاريت التـي قرأنا عنها في قصص ألف ليلة وليلة...، كان هذا هو المشهد الأول لبغداد مدينة الخلفاء ودار السلام، والتي أخذت أتأمل وأفكـر بأعاجيبهـا التي ذكرها السيد لين في ألـف ليلة مدة أكثر من ساعة،

(1) عبدالحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين، (القاهرة: مكتبة مدبولي، د. ت.)، ص 5.

(2) الحيدري: صورة الشرق، ص 35 – 37.

(3) بلنت: قبائل بدو الفرات، ص 163؛

Lady Anne Blunt: Bedouin Tribes. P. 142.

وأنـا متجه نحو الشمال الخالي من الشمس».[1] وكتب فونتانييه يصفها: «إن بغـداد التـي مررتُ بها في 1824 لم تكن بغداد الموصوفـة في ألف ليلة وليلة، وإنما لها طابعها الشرقي».[2]

والسبـب في أن الجزيـرة العربيـة كان لها جاذبية خاصة لـدى بيرتون هو أن هـذه الأرض قد ارتبطـت في ذهنه بعالم ألف ليلة وليلـة، ذلك العالم الحافل بالخيـال، وكل دروب الهوى والمجون، لـذا لم تكن رحلته إلى الجزيرة العربية تحقيقـاً للشهـرة فحسب بـل أيضاً وسيلـة لإشباع رغبة شخصيـة في معرفة المزيد عن الأسلوب المزعوم لحياة اللذة الحسية عند العرب، ومن ثم فقد كان دافـع الاستكشاف الجغرافي المعلن يختفـي وراءه العديد من الدوافع الأخرى العديدة التي تحركه.[3]

دوافع أخرى: لا نعدم دوافع أخرى للرحالة فمنهم من ضاقت به دنياه فيسافر بحثاً عن عـوالم أرحب، وكانت رحلة ألويز موزيل، لرغبته في تفادي (التورط في المنازعات والحروب الأهلية التي نشبت إثر اندلاع الثورة الفرنسية)[4]. كما قـد تدفع الرحالة رغبـة في الاستكشاف وتعلم المجهـول والسياحة في الديار، والبعـد عن الحيـاة الأوروبية الصاخبة، وتعلم اللغـة العربية، وشراء الخيول العربيـة الأصيلـة.[5] ويؤكد فنسنت لي بلانـك Vincent le Blanc أن السبب في قيامه بالرحلات المستمرة، هو الهروب من زوجته التي يصفها أنها واحدة

---

(1) سوانسـن كوبـر: رحلة في البـلاد العربية الخاضعة للأتـراك من البحر المتوسط إلـى بومبي عن طريق مصـر والشام والعـراق والخليج العربي في 1893م، صـادق عبد الركابي (ترجمـة)، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2004)، ص 179.

(2) قيس جـواد العـزاوي: (النجـف كما وصفهـا بعض المستشرقين الفرنسيـين، الجـزء الأول)، جريدة الجريدة، 13 أبريل 2006.

(3) شاز: الطريق إلى الجزيرة، ص 65، 66.

(4) السنجري: البدو بعيون غربية، ص 37.

(5) بلنت: قبائل بدو الفرات، ص 5.

مـن أبغض النسـاء في العالم.[1] وكانت رحلـة آن بلنت Anne Blunt وزوجها، بهـدف البحث عـن الخيول العربيـة الأصيلة. أما الإيطـالي كارلو جوارماني Carlo Guarmani فقد ركز على دراسة الخيول العربية وشرائها، فقد طلبت منـه الحكومتان الإيطاليـة والفرنسية شراء الخيول العربيـة الأصيلة.[2] أما هدف نيقولا سيوفي فهو: (تذكرة للمسافر فقط).[3]

وقد تتعدد دوافع الرحالة، يقول سيبروك: «وكثيراً ما سألوني عن سبب رحلتي إلـى بلاد العـرب وغايتها. وها أنـا ذا أحاول الآن أن أجيب عـن ذلك السؤال الطبيعي. وأخشى أن يكون واضحاً جداً أن رحلتي لم تكن من أجل هدف نافع، أو أخلاقي، أو علمي، أو سياسي، أو إنساني، أو معقول من أي نوع. لقد ارتحلت مـن اجل متعة الارتحـال، ولأنني اعتقدت أن الرحلة سـوف تسرّني».[4] ويؤدي تبايـن أهداف الرحالة علـى المستـوى الشخصي إلى ضـرورة فهم شخصية الرحالة من خلال علم النفس لإدراك الدوافع الحقيقية وراء الرحلة.[5]

أما عن دوافع الرحلة عند النساء، فقد نبعت من الرغبة في تأكيد استقلاليتها، وتحمل مشقـة الطريق ومجابهة مخاطره، وذلك بالقيام برحلتها دون حماية مـن رجل يرافقها، ويبدو أن الدافـع تبلور وترسخ في إطار الحركات النسائية الداعيـة للتمرد على الأيديولوجيات المجتمعية التـي تكبل حرية المرأة وتصر علـى وضعهـا تحت وصايـة الرجل.[6] وكثيراً مـا تتساوى النســاء مع الرجال

---

(1) بدول: الرحالة الغربيون، ص 107.

(2) الشيباني: أهداف الرحالة، ص 547.

(3) نيقـولا سيـوفي: رحلة نيقولا سيـوفي 1873، تيسير خلف (نشـر)، (دمشق: التكويـن للتأليف والترجمة والنشر، 2009) ص 78.

(4) ويليـام ب. سيبروك: مغامرات في بلاد العرب، عارف حديفة ونبيل حاتم (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للنشر والتوزيع، 2006)، ص 18.

(5) حجر: ليدي إستر ستانهوب، ص 36.

(6) فهيم: المرأة والرحلة، ص 8، 9.

في القيام بالرحلة بدافع الهروب من واقع غير مستحب إلى أرض أخرى، ولإحداث تغيير في الذات، فالنمساوية إيدا بيفير، قامت برحلاتها بدافع البحث عن علاقات بديلة عن تلك العلاقة السيئة التي كانت بينها وبين والديها. وبصفة عامة يمكن القول إن دوافع الرحلة عند المرأة متعددة شأنها في ذلك شأن الرجل.[1]

(1) حسين محمد فهيم: المرأة والرحلة، ص 9.

أهمية كتابات الرحالة

تكمـن قيمـة الرحلة، أي رحلة، في أنهـا تأتي إلينا بمعلومـات عن أماكن لم يرتدهـا أحد من قـراء الرحالة، والكتابـة التي تفرزها مثـل هذه التجارب الإنسانيـة إنما تكون أقرب مـا تكون إلى الصدق، والصـدق حالة إنسانية، تعكس صورة اللحظـة التي عاشها الرحالة بكافة جوانبهـا المادية والمعنوية والانفعاليـة، دونما تصنع أو تزيّد، رغم ما قـد يكون بها من مبالغة أحياناً. وفي هذه الحالة يتجول القارئ مع الرحالة في أماكن يعزّ عليه الوصول إليها بمفـرده، أو حتى في جماعة، لأن الزمان يستحيـل استدراكه.[1] ليرى بعيون الرحالة جوانب من حيـاة البدو، صفاتهم وملامحهم، كيف يرون أنفسهم، وكيف يرون الآخر، كيـف يعيشون في البراري، وكيف يؤمنون أنفسهم، كيف يتناقلون الأخبار، وكيف يتعاملون معها، إلى غير ذلك من جوانب حياتهم.

وتأتـي أهمية كتابات الرحالة لإكمال الصـورة العامة للعرض التاريخي عن مجتمـع مـا، في وقت ما، مـن كونها تحتوي على مـا يتعلق بقيمـه وخصاله وأخلاقـه، وهـي جوانـب يصعـب أن يعثر عليهـا المؤرخون في غـير كتابات الرحالـة. ولولا الكتابات التي قدمها الرحالـة لفاتنا الكثير مما لم تتضمنه الوثائق من عادات الشعوب وتقاليدها، وتطور أنشطتها وثقافاتها.[2] فإن ما دونـه هؤلاء وكتبوه عن الأحوال الاجتماعية والتاريخية والآثارية والجغرافية يعتبر ثروة تاريخية وأدبية جليلة الفائدة، ومصدراً من أوثق المصادر. فمهما تعـددت أغراض البعثات ومراميهـا، كان يجمعهم أمر واحد، هو الولوج إلى مجاهيـل الشرق، ودراسـة أحواله، وجمع المعلومات عنـه.[3] وعادة ما تكون

(1) حجر: الرحالة الغربيون، ص 8.

(2) حجر: الرحالة الغربيون، ص 15، 191.

(3) نيبور: رحلة، ص 5.

المـادة التي يقدمها الرحالة مزودة بالصور والرسوم والخرائط، فضلاً عن الحكايات المسلية والمعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والجغرافية والتاريخية، التـي يمكن إعادة توظيفها بمنهجية علمية حديثة، تساعد على فهم المجتمعات في الماضي.[1]

كشفـت كتابات الرحالة عـن أجزاء من الخصائـص الإنسانية والأخلاقية والحضاريـة للإنسـان العربـي في عصـر الرحلـة، وترك لنـا الأكثرية من الرحالـة الأوروبيـين، بـين منتصف القـرن الثامن عشـر ومنتصف القرن العشريـن، أدق وأجمل الآثار عـن الجزيرة والخليج والعراق في تلك المرحلة التـي غـاب فيها أي عمـل تسجيلي عربـي. وكتابات الرحالـة تغطي العديد من جوانب الحيـاة التقليدية مثل الطعام وكـرم الضيافة والزواج والطلاق وتقسيم العمـل وطقوس الميلاد والبلوغ والمـوت، وبالإضافة إلى ذلك تصف الإيقـاع اليومـي لحياة البدوي بـدءاً في الصبـاح، ومروراً بقيلولـة الأصيل الهادئة، ثـم الزيارات الاجتماعيـة، التي يتم خلالها شـرب القهوة وتناول التمر في المساء.[2]

إضافـة إلى ذلك، تقدم مؤلفات الرحالة، رؤيـة الآخر، فمن الأهمية بمكان ملاحظـة كيـف نظـر الرحالة للعـرب بسلبياتهـم وإيجابياتهـم؟ ومظاهر تلـك النظرة، وأثر المواجهة الشرسة بين الجانبـين المتصارعين على تكوين رؤيـة أولئك الرحالة، وانعكاسهـا على مؤلفاتهم. كمـا أن نصوص مؤلفات الرحالـة، الذين جابـوا ربوع الشرق، قدمـت تصوراتهـم الإنسانية، دونما تصنع أو مواربة، بعيداً عن الذهاب وراء الأحداث السياسية والحربية، كما قدمـت الأبعاد النفسية العميقة مثل القلـق والتوتر إلى غيرها من الجوانب

(1) المجيدل: عمان، ص 134، 135.

(2) فهيم: كتابات الرحالة الحديثة، ص 394، 395.

الانفعالية، على نحـو يقدم للمؤرخ الذي يبحث عن النصوص الفريدة مادة هامة من انفعالات عصر بأكمله من خلال أولئك الرحالة. ومن جهة أخرى قدمت مؤلفاتهم نصوصاً هامة عن المجتمع في الشرق.[1]

اقتصرت كتابات بعض الرحالة على ما جاؤوا من أجله. فالرحالة (فالين)، علـى سبيل المثال، يركـز في كتابته علـى الأرض لا السـكان، فيصف مسار رحلتـه: طبيعـة الأرض والنباتات والحشائش والجبال والرمـال والتلال، وأماكـن المـاء والواحات ودرجـات الحـرارة والرطوبة. بينما ذكـر آخرون صراحة أن اهتمامهم ينصب على الناس، فبالجريف مثلاً جعل هدف بحثه أحـوال السكان الأخلاقيـة والفكرية والسياسية لا الظواهـر الطبيعية، ومع ذلـك اهتم بهذا الجانـب ولم يغفله كليـة.[2] وهنـاك من جمـع بين الاثنين، فـنرى ليونهارت رولف يقـول: «استبدت بي رغبة ملحـة في البحث عن تلك النباتـات التي تنمـو بصفة طبيعية دائمة في مواطنهـا المحلية ومشاهدتها، كمـا آثـرت على نفسـي أن أطلع على حياة سـكان تلك الأقطـار وأحاديثهم وعاداتهم وطرائفهم وديانتهم».[3]

وتميـز كثير مـن الرحالة بالفضـول، فأثبتـوا أن الحياة المعاشـة يوماً بيوم كانـت تستحق الوصف، ولـذا قاموا بتصوير القاعـدة لا الاستثناء، والمعتاد لا الطـارئ، والأمور المألوفـة لا الأحداث الجليلة.[4] فقدمـوا رؤية مهمة من خـلال عيون غريبة وافدة، ولذلك نجد في نصوص مؤلفاتهم زوايا ندر أن تـتردد في كتب الحوليـات، ويذكر فولني عن هذا الأمـر: «أما السكان، وقد

---

(1) عوض: الجغرافيون والرحالة، ص 7، 8.

(2) نصر: التراث الشعبي، ص 14.

(3) ليونهـارت راوولـف: رحلة المشرق إلى العـراق وسوريا ولبنان وفلسطين، سليم طـه التكريتي (ترجمة)، (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1977)، ص 16.

(4) Nippa، Herbstreuth: Along the Gulf. P. 37.

ألفـوا هذا المشهـد، فهم لا يتأثرون به قط، ولكن الرجـل الغريب الذي تثور فيه الذكريات، فإنه يستشعر غصة كثيراً ما تتحول إلى الدمع، وتفتح أمامه مجـالاً لتأمـلات تشد القلـب بكآبتها بمقدار مـا ترفع النفس بجلالها».[1]
وتعليل ذلك أن الرحالة، عندما تطأ أقدامه أرض مجتمع آخر، يحرص على إيـراد كل ما تقع عليه عيناه من مظاهر حياتيـة متعددة ومختلفة، ولا مراء في أن ذلك كله أدى إلى إثراء مؤلفاتهم، وتميزها بتصورات شخصية ثرية. فـلا عجب أن قدموا نصوصـاً تمتاز بالحيوية المتدفقة بـين ثناياها، وكأننا نعيش فعـلاً في ذلك المجتمـع الذي وفدوا عليـه.[2] فمثـلاً الرحالة الهندي نـواب حميد يـار جونك بهادر أثبت في يومياته مـا رآه منذ دخوله البصرة، حتـى وصوله بغـداد، ووصف بعض أحوال العـراق الإداريـة والاجتماعية، وطـرق المواصلات، ووسائلها النهرية والبريـة.[3] ويقول فولني: «توخيت في سـرد الوقائع المحافظة على الـروح التي سادتني عنـد بحثها، عنيت بذلك حتـى لمجرد الحقيقة. وقد منعت نفسي الصورة التخيلية، وإن كنت لا أجهل أفضليـات الوهم عند جمهور القـراء، لأني أرى أن الرحـلات ملك التاريخ لا الروايـة. وإذن فلم أمثل البلاد أكـثر جمالاً مما بدت لناظري، ولم أصور الناس أحسن حالاً أو أكثر شراسة مما رأيتهم، بل أحسب أنني كنت في وضع تمكنت معه من رؤيتهم كما هم، لأنني لم ألق منهم حسنة ولا سيئة».[4]

تكتسـب كتب الرحـلات مكانة خاصة في المكتبة الثقافيـة عامة، والتاريخية خاصـة، نظراً لما تتضمنـه من معلومات قيمة، وما يتناثـر في صفحاتها من

(1) فولني: ثلاثة أعوام، ص 14، 15.
(2) عوض: الجغرافيون والرحالة، ص 5، 6.
(3) نـواب حميـد يار جونك بهادر: (رحلـة إلى بغداد)، كاظم سعد الدين (ترجمـة)، بغداد بأقلام رحالة، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2007)، ص 240.
(4) فولني: ثلاثة أعوام، ص 5، 6، 10.

وصف لواقع مرئي، اطلع الرحالة عليه، وعاصر أحداثه، وشاهد مكوناته، وآثر تسجيل كل ذلك ليتحف به القراء[1]، فتضم كتب الرحلات فوائد ومعلومات تاريخية واجتماعية وتراثية عديدة.[2] وشهادة هامة عن الأوضاع السائدة آنذاك، مع وصف شامل للشعوب وأحوالهم وتاريخهم وعاداتهم، فهي بذلك سجل حافل بالمشاهدات والمعاينات، كما تمثل وثيقة مدونة عن تراث وتقاليد وتاريخ وجغرافية المنطقة.[3] مع التأكيد على أن ما في هذه الكتابات من وجهات نظر إنما تعكس ثقافة الرحالة وانطباعاته وأفكاره ومعتقده، ولم تكن كلها دقيقة، ولم تكن كلها صحيحة، وكلها من وجهة نظر غربية، ومن رؤيا غربية، غير أنها في غياب الرحالة العرب والموثقين العرب في تلك المرحلة تعد المصدر الوحيد عن طبيعة الحياة في ذلك العصر، وليس لمؤرخ أو باحث أن يفهم وأن يدرك طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية والمعيشية في المنطقة خلال تلك المرحلة، ما لم يقرأ تلك الأوصاف الدقيقة للبيئة البشرية والطبيعية التي كانت قائمة آنذاك.[4]

أثبتت هذه الكتابات أنها مصدر مفيد للمعرفة، ونظرة جديدة لصورة كل مجتمع مقارنة بالمجتمعات الأخرى وضرورة في عالم تطورت فيه قنوات الاتصال بشكل كبير وأصبح التواصل بين المجتمعات سهلاً للغاية، وبالتالي إدراك الناس للاختلافات الموجودة بينها جدير بالاهتمام وهنا تأتي أهمية

---

(1) أرنست وايز: عشرة آلاف ميل عبر الجزيرة العربية، عمر بن عبدالله باقبص (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز ، 1428)، ص 7.

(2) سبستياني: رحلة سبستياني، الأب جوزيبه دي سانتا ماريا الكرملي إلى العراق سنة 1666، بطرس حداد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006)، ص 5.

(3) سي. أم. كرستجي: أرض النخيل أو رحلة من بومباي إلى البصرة والعودة إليها 1916-1917 ، منذر الخور (ترجمة) (المنامة: مطبوعات بانوراما الخليج، 1989)، ص 5.

(4) عطا الله: قافلة الحبر، ص 15، 16.

أدب الرحــلات.[1] فقد تــرك هؤلاء المستشرقون معلومــات قيمة عن الحياة الاجتماعيــة السائــدة، فجاءت كتاباتهــم لتسد ثغــرة في معرفتنا عن تطور الحيــاة في مجتمع العــراق، فغياب المصــادر المحلية لم يترك لنــا خياراً إلا الاعتمــاد على المصادر الأجنبية. وهكذا تعكــس كتابات الرحالة صورة حية عــن كثير من الوقائــع التاريخية والجغرافية والبشريــة للمنطقة، التي قلما نجد لها نظيراً في المصادر المحلية.[2] كما تعد كتابات المنصرين وتقاريرهم مصــدراً مهماً من مصــادر معرفتنا عن المنطقة، ولها قيمــة علمية كبيرة، فتسجيــل الأحــداث والأوضــاع ذو قيمــة كبيرة علــى الرغم مــن السلبيات الكثــيرة التي تكشف هذا المجال، وأهمها أن هذه الأحداث والتحليل قد كتب مــن وجهة نظر غربية بحتة وطبقــاً لما تمليه مصالــح المنصرين وأهواؤهم وأهدافهــم الحقيقيــة، وليس من واقع الأوضاع للمنطقــة، ولكن على الرغم من هــذه السلبيات تظل تقارير الإرساليات التنصيرية مصدراً غنياً لتاريخ المنطقة.[3]

وعلــى الرغم من عدم قبولنا جميع ما كتبه الرحالة فمن المؤكد أن كتاباتهم تشــكل مصــدراً لا يمكن الاستغناء عنه عند كتابــة تاريخ المنطقة، وقد تمت الاستفــادة من هذه الكتابات في عدد من الأبحاث والدراسات الحديثة التي تعنــى بالتاريخ.[4] ولا شــك أن القيمة الاقتصاديــة والسياسية والاجتماعية لتلــك الرحــلات لا تقدر بثمن؛ لأنهــا تؤرخ لحقبة زمنيــة اكتنفها الغموض.

---

(1) بطي: كتابات الرحالة والمبعوثين، ص 14.

(2) طــارق نافع الحمــداني: (الرحالة البرتغاليون في الخليج العربي خلال القرنــين السادس عشر والسابع عشر)، مجلة الوثيقة، العدد 15 (يوليو 1989)، ص 173.

(3) الصايغ: الساحل المتصالح، ص 321.

(4) عبــدالله بــن عبدالرحمن آل عبدالجبار: (دراسة تحليلية لكتاب مرتفعات جزيرة العرب لجون فيلبي)، في كتــاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحــلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الثــاني، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000)، ص 933.

كمـا أن الأعمال التي قاموا بهـا، وصبرهم على مناخ الجزيرة الصحراوي، وتنقلهـم في وسط أمة كانت متقوقعة علـى نفسها، إضافة إلى فقدان الأمن والدولـة مما كان سبباً في فقد بعضهم لحياته، كل ذلك يجعلنا نحترم تلك الجهود بصرف النظر عن تلك الأهداف التي جاؤوا من أجلها.[1]

ولعـل أهـم المميزات التي تقدمهـا كتابات الرحالـة أن المـرأة الرحالة كان يمكنهـا أن تصل إلى أبعد ممـا يصل إليه الرجال، فهـي تستطيع أن تلتقي النسـاء العربيات وتدخـل حيث الحريم وتصف لنا المطبـخ، فآن بلنت مثلاً استأذنت من الأمير محمد في زيارة زوجاته، اللائي كن يتهيأن لاستقبالها، ويتفنن في زينتهن ويستغرقن وقتاً طويلاً لذلك.[2]

(1) الشيباني: أهداف الرحالة، ص 549.

(2) حجر: رحلة ليدي آن بلنت، ص 35.

كتابات الرحالة مصدر تاريخي

اجتذب الشرق الكثير من الرحالة الغربيين من سياح وتجار وجغرافيين وأدباء وشعراء ورسامين وجواسيس ومبعوثين سياسيين، هاموا بالشرق وعشقوا حياته الرومانسية المفعمة بشاعرية القرون الوسطى، وعبق التاريخ، وعذرية صحرائه المثيرة المليئة بالأسرار. معظم هؤلاء ترك نصوصاً أدبية صارت رافداً مهماً للكتابة التاريخية، بما قدموه من وصف للمناطق التي زاروها، فالرحالة، (يقدم صورة اللحظة التاريخية التي عاشها باعتبارها لحظة معاصرة رآها بأم عينيه).[1]

وطبيعي أن كتب الرحلات ليست كتب تاريخ، ولكنها مصادر مهمة للمؤرخ؛ لأن الرحالة في العادة تستهويهم جوانب دون أخرى من المجتمعات، ومن ثم لا تكون رؤيتهم للناس والأشياء دقيقة وعميقة.[2] فالرحالة إذا ما طبق المبدأ العقلاني في مناهج البحث العلمي، ومشاهداته، وخطوات الجمع والمعالجة المنظمة، وترتيب الأولويات، تصبح المعلومات التي جمعها بطريقة مباشرة أولوية أولى، ونال التمحيص والتدقيق في المعلومات التي تم جمعها بطريقة غير مباشرة أولوية تالية.[3] وعموماً يعد نص الرحلة وثيقة تاريخية مهمة يستفيد منها المؤرخ ودارس التاريخ. فقد يتحدث الرحالة عن المعالم التاريخية التي زارها، ويدون الأحداث التي عايشها عن قرب أو سمع عنها، ويصور الجوانب العمرانية للبلدان التي يمر بها أو يقيم بها مدة من الزمن، ويتعرض للعادات والتقاليد التي عاينها، ويتكلم عن أمور تتعلق بالجانب السياسي والدبلوماسي،

---

(1) حجر: الرحالة الغربيون، ص 7.

(2) الهلابي: الرحلة الحجازية، ص 133.

(3) جمال محمود حجر: (الأرمن في رحلة نيبور)، مجلة أريك، العدد الثاني، (مايو 2010)، ص 15.

وغيرها من الجوانب التي تشكل مادة خصبة لدارسي التاريخ.[1]

توافد عدد كبير من الرحالة والمستشرقين من مختلف المشارب والاتجاهات ولأهـداف مختلفة، قدم هؤلاء، كلٌّ حسب الهدف الذي أتى من أجله، الكثير من المعلومات؛ التي حصلوا عليها من تجوالهم، عن شؤون وأوضاع المجتمعات العربيـة المجهولة لديهم، إما في كتب أصدروهـا، أو بتقارير رفعوها خاصة إلـى ممولي رحلاتهم عما شاهدوه وسمعوه، وتتفاوت القيمة العلمية لما كتبه هـؤلاء، وما قدمـوه من معلومات من رحالة إلى آخـر، إلا أن ما قدموه بقي، وسيبقى مادة أولية لا غنى عنها لأي باحث في التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصـادي في غياب الوثائق والسجلات المحليـة الخاصة بالمواضيع التي تناولوهـا. فقد تفاوتت أهدافهم، وتنوعـت شخصياتهم، واختلفت مصادر تمويلهم، وسجل هؤلاء الرحالة الكثير من التفاصيل المهمة، كما كانوا شهود عيان على الكثير من التفاصيل الدقيقة التي تعبر عن الحياة اليومية لسكان المنطقة العربية، وتركيباتهم السياسية والاجتماعية والقبلية، وكما أسلفنا، فـإن عدم الاهتمـام بالتوثيق والتسجيل، جعل من كتابـات الرحالة مصدراً أساسياً لمعرفة تاريخ تلك المراحل، بل قد تكون وللأسف مصدراً وحيداً لهذه المعرفة.

وهنـاك أيضـاً التقاريـر والمؤلفـات التـي كتبهـا الموظفـون الرسميون لدى حكوماتهم، كالسفراء والقناصل والعسكريين، والمقيمين السياسيين وممثلي الشركات التجارية، والأطباء والمبشرين والجواسيس وضباط الاستخبارات العسكريـة والمستشاريـن الخاصين، ودارسـي الآثار والمهتمـين بالتنقيبات الأثريـة والمبعوثـين السياسيـين من قبـل حكوماتهم وعلمـاء الأنثربولوجيا

(1) أحمدون: الرحلة الحجازية، ص 205.

والأثنولوجيا واللغات القديمة والنقوش والمسكوكات.[1] فلم يقتصر الزائرون على علماء التاريخ والآثار والجغرافيا والأدب والفن ورعاة العلوم والمعارف، وليس من شك أن ما دوّنه الرحالة يشكل حلقة مهمة من حلقات تاريخنا، فالأجانب والسياح قدموا فكرة عن أحوال الناس وطبائعهم، وسجلوا انطباعاتهم عنهم.[2]

وكتابات الرحالة، مهما كان فيها من ذاتية كاتبيها، تعد مصدراً تاريخياً يعكس ما رأته العين، وسمعته الأذن، ولمسته اليد، أو القدم، فالرحالة الذي تصلنا أدبياته هو الشاهد الوحيد الذي نجد عنده التاريخ حياً، فشهادته مرآة الزمن في اللحظة التاريخية التي زار فيها المكان، والتقى فيها السكان. ولا يمكن أن يجد الباحث في الوثائق الرسمية ما يجده عند الرحالة من وصف للمشاعر والأحاسيس والانطباعات، وقراءة الوجوه، وهذه من الجوانب الإنسانية الغائبة في كثير من الكتابات التاريخية. ومتى ما أخضعت كتابات الرحالة للنقد العلمي صارت آمنة الاستخدام، لأن المؤرخ في هذه الحالة يجنب ذاتية الرحالة، ويستقي من موضوعيته ما يفيد. ولعل أروع ما يقدمه الرحالة لنا هو إمساكه باللحظة التاريخية وقت حدوثها لتبقى حية إلى أن تصل إلينا، فمع الرحالة نستحضر الماضي حياً كما رآه بنفسه، وكما سجله بقلمه.[3]

كتابات الرحالة تصور لنا أماكن وأزمنة لم نكن لنحصل عليها دون مغامرات أولئك الرحالة وتعبهم إلا أن ما يؤخذ عليهم تمجيد أنفسهم وكبريائهم، ثم نظرة الاستعلاء التي ينظرون بها إلى الأشخاص الذين ساعدوهم وذللوا

---

(1) السنجري: البدو بعيون غربية، ، ص 29.

(2) سلمان هادي آل طعمة: (كربلاء في مدونات الرحالة والأعلام)، مجلة ميزوبوتاميا، العدد 11، (نيسان 2007)، ص 130، 131.

(3) حجر: الأرمن في رحلة نيبور، ص 13.

لهم الطرق والمخاطر، والذين ربما لم يكونوا ليترددوا أن يفدوهم بأنفسهم لو تعرضوا لخطر وهم في حمايتهم أو تحت حراستهم. إذ من المعروف أن كل الرحالة الذين عبروا صحاري الجزيرة كان يرافقهم أدلاء من سكان المناطق الذين زاروها، وأولئك الأدلاء والحراس هم الذين مكنوهم من تحقيق إنجازاتهم.[1]

إن الرحالة مؤرخ للحالة الحاضرة، نراهم يشاهدون ما لم يخطر ببال، فينطقون بالمكانة، ويقررون قيمة ما يكتبون، لما يفاجأون به من أوضاع لم يألفوها، وحالات لم يُدركوها فتأتي الكلمة عفواً. وهؤلاء رواد أهليهم، وقد قيل الرائد لا يكذب أهله.[2] ولهذا قدموا معلومات مهمة، تشتمل على مشاهدات، وملاحظات، وانطباعات، سطرها عدد من الرحالة، إثر قيامهم بجولات متعددة، وليست هذه المشاهدات والملاحظات سوى جزء من التاريخ: السياسي، والحضاري، والاقتصادي، والاجتماعي، كتبه مؤرخون معاصرون لتعريف القارئ الغربي بهذه البلاد وحضارتها.[3] فالرحالة يكتب ليصف طريق رحلته ومشاهداته خلالها، الأمر الذي يكسب كتاباته أهمية خاصة لفرادتها في تسجيل الكثير من التفاصيل المتعلقة ببلدان الشرق، ولاحتوائها مشاهدات وشهادات مهمة يتم الرجوع إليها باعتبارها مصدراً بارزاً، موثقاً ما لم يكن أهل تلك البلدان مولعين بتوثيقه. ومن هذا بالطبع الأزياء والأغاني التي يرددها العامة، أو وصف المواقع التاريخية.[4]

---

(1) باركلي رونكيير: عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل، منصور محمد الخريجي (ترجمة)، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1999)، ص 16.

(2) عباس العزاوي: النخل في تاريخ العراق، (بغداد: مطبعة أسعد، 1962) ص 88.

(3) بدول: الرحالة الغربيون، ص 5.

(4) حسن ناصر: سائح يطوف العراق بصحبة زوجته الميتة، جريدة الشرق الأوسط، العدد 9028، الأحد 18 جمادى الثاني 1424هـ/ 17 أغسطس 2003م، ص كتب.

وتعتبر كتابات الرحالة في أغلب مضامينها أحد المصادر الأساسية للتاريخ، فقد انفردت بتسجيل ما لم يسجله مصدر آخر، لأن الكاتب كان شاهد عيان في مواجهة الواقع الذي ساد. وهي تتناصر على إضاءة الجوانب، التي ما نزال نحسبها مظلمة، وهي وإن كان بعضها يستهجن تقاليدنا وعاداتنا وعقائدنا، ولا يلتمس لأصحابها تبريراً في هذا العدوان، وما علينا إزاء ذلك إلا أن نحترم الحق، ونصحح الوهم، ونشجب الباطل، وينبغي أن نؤمن بأن ليس كل ما كتب وقيل في المدونات والرسائل والتقارير والسجلات والمؤلفات يعتبر على إطلاقه صحيحاً. ولا ننكر أن بعض أصحاب هذه الآثار كانوا أحياناً ضحايا أخطاء، وكانوا أحياناً يتسرعون في أحكامهم، ولربما كانت أفكارهم المسبقة هي التي جارت عليهم عندما تسرعوا وأخطأوا، ونحن عند المواجهة، يجب أن نتحدى المستنقع وصولاً إلى زنبقة الوادي.[1] إن دراسة تاريخ المنطقة العربية الحديث، وبخاصة العراق، لا يكتمل دون دراسة كتابات الرحالة، نظراً لما تحتويها من معلومات مهمة، ومن تقييمات أجنبية.[2]

وتجدر الإشارة إلى أن اختلاف جنسيات الرحالة قد أفاد في اختلاف نظرتهم وتعددها. فهناك الرحالة الأسباني والألماني والروسي. ومن الطبيعي أن تختلف اهتمامات كل منهم وفقاً للبيئة التي نشأ فيها ومعطياتها السياسية والاقتصادية والدينية، ونفس الأمر بالنسبة للجانب العقائدي، فمن أولئك الرحالة المسيحي، ومنهم اليهودي، وتعددت واختلفت اهتمامات كل طرف، فالأول اهتم بإيراد الأماكن المسيحية المقدسة، أما اليهودي فقد جعل جل اهتمامه منصباً على أعداد اليهود وأعمالهم ونشاطهم

(1) المس بيل: العراق، ص 27، 28.

(2) ليدي بيل: رسائل جيرتروود بيل 1899–1914، رزق الله بطرس (ترجمة) (بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008)، ص 7.

الاقتصادي، ووضعهم في المنطقة، وعلاقتهم بالقوى الإسلامية.[1]

وتبقى كتابات الرحالة، مع ما فيها من محذورات، مصدراً لا غنى عنه لدارس تاريخ هذه البلاد وذلك لأن: هؤلاء الرحالة قدموا إلى المنطقة في أوقات لم يدون معظم تاريخها. كما أنهم جاؤوا من ثقافات مختلفة، ومعظمهم من العلماء، ولذا فإن كتاباتهم في معظمها تتسم بالنضج العلمي. واشتملت على موضوعات اجتماعية واقتصادية، غالباً ما تهمل في الكتابات المحلية في حالة توافرها. ورصد كل رحالة مشاهداته وانطباعاته عن المجتمع أثناء مروره وإقامته في المنطقة، كما أن هؤلاء الرحالة ينظرون إلى مجتمعاتنا من زاوية مختلفة، ولذا فهم يتمكنون من رصد ظواهر وملحوظات ربما ينظر لها غيرهم من أهل البلاد على أنها أمور عادية لا تستحق الرصد.[2]

---

(1) عوض: الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس، ص 10.

(2) المطوع: الرحالة الغربيون، ص 350.

النقد التاريخي لكتابات الرحالة

إن إشكاليــة الاستــدلال على المصــادر التي يمكن اعتمادهــا وثائق تاريخية هــي دائماً محل جدل واسع، ويزداد هذا الجــدل عندما تكون هذه المصادر انطباعــات فردية وتحليلات شخصية آتية من أشخاص لهم توجهات معينة ومدارس فكريــة ومعتقــدات روحية مختلفة عــن البقعة التــي يكتبون عنها أو الأحــداث التــي يحللونها أو العــادات والتقاليد التــي يدرسونها. وكتابات الرحالة خاصــة تصطبغ دائماً (بالانطباعية) الخاليــة أحياناً من التحليل الموضوعــي، وأحياناً أخرى تكون سطحيــة في تفحصها للأمور، فالمجتمعات البشريــة تختلــف في العــادات والتقاليــد والمعتقــد والثقافة والفعــل وردات الفعل، وتكون هذه العــادات والتقاليد والمعتقدات والثقافات عرضة للتشويه مــن قبل الزائر القادم مــن ثقافة أخرى (مختلفــة) والغربية منها خاصة. وبشــكل أكــثر تحديــداً كتابة التاريــخ في ضوء ما جــاء في كتابــات الرحالة وتقاريــر المبعوثين الأجانب بوصفها مصدراً من مصــادر التاريخ السياسي والاقتصــادي والاجتماعي، من هنا كان الســؤال الأول أو الإشكالية الأولى: إلى أي مدى يمكن اعتماد هذه الكتابات والتقارير السياسية على أنها وثائق تاريخية تؤخذ كمصادر توثيقية، ومراجع يعتمد عليها في كتابة التاريخ؟

والإجابــة علــى هذا الســؤال تؤكد الحاجــة إلى دراسة نقدية لمــا قدموه من معلومــات سمعوا بها أو رأوهــا، تبعاً لأغراضهم ومراميهــم، فالرحالة وهو يكتــب، إنما يقدم لنا الحقيقة التاريخية بأسلوب قد يخلط فيه بين مشاعره الخاصة وبين الحقيقة، فيمتزج عنده الذاتي بالموضوعي، وهو ما يحتاج إلى دراســة تحليليــة متأنية ناقدة، كمــا أنها تؤكد على ضــرورة إخضاع كتابات الرحالة للنقد التاريخي لننظــر إليها بعين فاحصة وفكر قادر على التحليل

والتعامل مع وجهات نظر متعددة. كما لا ينفي ما قدموه لتاريخ المنطقة من وثائق مدونة تقدم لنا صورة حية لفترة من الفترات مرت ولن تعود، وإن حملت كتاباتهم بين ثناياها وجهات نظرهم سواء الشخصية منها أو الرسمية، وسواء كانوا معبرين عن آرائهم أو آراء من كانوا وراءهم وأرسلوهم إلى المنطقة تحت شتى الذرائع والمسميات، فليس بالضرورة أن تعبر كتاباتهم، والتي قد لا ترضينا في بعض جوانبها، عما نطمح أن نعبر عنه، وألا نتوقع منهم النزاهة والتجرد الكاملين ولا الإنصاف الذي نرجوه ونتوقعه. على أن إيراد أغلب الرحالة لبعض المعلومات المضللة دون التثبت منها، أو ذكر مصدرها، خلق بلا شك جواً من عدم الثقة في كتاباتهم.[1]

وفيما يلي الأسباب التي تجعل كتابات كثير من الرحالة غير دقيقة تماماً:

جهل معظم الرحالة اللغة العربية: وكان هذا الجهل سبباً في أن آذانهم التي لم تألف الأجراس الأجنبية تقابلها مقابلة عائبة بأجراس لغتهم.[2] ومن هنا يجب النظر إلى كتابات الرحالة بحذر شديد وبمنهج النقد التاريخي، مع إجراء كافة أشكال المقارنة مع مصادر المعلومات الأخرى من وثائق ومخطوطات وغيرها.[3]

احتواء معظم كتابات الرحالة على الخيال: فهم لا يتورعون أحياناً أن يضفوا على رحلاتهم وأسفارهم الشيء الكثير من الخيال، مما يثير دهشة القارئ وتعجّبه، ولم يتردد بعضهم في استخدام مخيلاتهم في اختراع أعاجيب وغرائب ليس لها وجود. كما أن بعضهم يلجؤون إلى تمجيد أنفسهم والمبالغة في كل ما قاموا به وقاسوه، وما مر بهم من أهوال، قد لا تكون

(1) السنجري: البدو بعيون غربية، ص 120 – 123.
(2) فولني: ثلاثة أعوام، ص 64.
(3) حجر: الرحالة الغربيون، ص 44.

حدثت. وعندما يتعلق الأمر ببدو من الصحراء، فإن نغمة التعالي تكون هي السائدة أغلب الأحيان، طبعاً، ويصورونهم دائماً أنهم قوم شديدو التأخر والجهل حتى حين يتعلق الأمر بشأن من شؤون حياة البدو التي برعوا فيها مثل: استعدادهم لمواجهة عدو وكيفية استخدام البندقية. وهذا رونكيير يصف كيف أن زملاءه في الرحلة فقدوا صوابهم واختلطت عليهم الأمور عند أول موقف صعب فلم يعودوا يعرفوا ماذا يفعلون أو كيف يتصرفون: «اندفع واحد من الرجال ببندقيته، ولكن دون ذخيرة وركض آخر بذخيرته دون بندقية». وفي مكان آخر من كتابه يقول: «وهكذا سلمت كل ما معي من سلاح إلى أناس لم تكن لديهم أدنى فكرة عن كيفية استعماله. هكذا تركت المتحمسين للحرب ينطلقون، بينما جلست أتناول الغداء متأخراً).[1] وقد حفلت كتاباتهم بألوان من إساءة الفهم والتفسير لما رآه الرحالة أو سمعوه، تضاف إلى هذا المبالغات والافتراءات، التي أسفرت عن تشكيل رؤية مشوهة، وصورة قبيحة للمنطقة العربية وأهلها، وثقافتها في عيون الأوروبيين، حيث أصبح من الصعب التمييز بين العادي وغير المألوف. وفي تحليله لشخصية الرحالة البريطاني، يراه فوسل Fussell «شخص غير واقعي، يوجه إيماءة التحرر إزاء ما يمكن التنبؤ به».[2] كما أن من المستحيل العثور على صفحة واحدة من داوتي أو أحياناً فقرة خالية من هواجسه وشوارده.[3] فروايات الرحالة تحتوي بجانب المعلومات الحقيقية على الكثير من التقولات التي لا قيمة لها، أو حتى خيالية. وعلى الرغم من أن هؤلاء الرحالة، قد واجهوا عالماً عربياً حقيقياً، إلا أنهم ما استطاعوا أن يطرحوا من أذهانهم تلك الصورة الخيالية الزائفة، ومن ثم جاء تصويرهم للمنطقة مزيجاً من

(1) رونكيير: عبر الجزيرة ص 14، 15.

(2) فهيم: كتابات الرحالة الحديثة، ص 392، 394.

(3) عطا الله: قافلة الحبر، ص 10.

الواقع والخيال.[1]

كتابات الرحالة ذات طابع فردي ذاتي: إن الفردية والذاتية لا تعني أن يكون الرحال شاذاً في تصرفاته، بحيث يبدو غريباً دوماً. إنما عليه أن يتصرف كما يتصرف أهل البلاد التي يحل بها، وأن يختلط بهم، ويتعرف عليهم، حتى يتيح له ذلك فرصة للحكم الدقيق، ومن صور تأكيد هذه الذاتية الاعتداد بالتجارب والمواقف التي خاضها الرحال أثناء رحلته، واعتبارها شيئاً طريفاً جديراً بالتسجيل والذيوع، وقد يكون الاعتداد بتجاربه وتسجيلها نوعاً من التعويض عن هذه المصاعب ومن ثم فإنه لا تثريب عليه.[2]

قصر مدة إقامة الرحالة: جُلّ الرحالة أمضى مرحلة زمنية قصيرة في المناطق التي زارها، وكون انطباعات سريعة حصل عليها من خلال سؤال البعض أو من خلال المعاينة المتعجلة، ولا تتميز معلوماتهم دائماً بالرسوخ، ولذا يميلون إلى إضافة ملاحظاتهم على شكل قصة تجتذب القراء. وذلك من خلال إدراج الأقوال المتواترة والمنقولة في بعض الأحيان عن مصادر ممتازة، وفي أحيان أخرى عن مصادر سيئة.[3] على حين وجد منهم من مكث أعواماً طويلة فكون خبرة ومعرفة لها شأنها بالمكان والإنسان، ومن ثم جاءت كتابته لها أهميتها الخاصة من بين ما وصل إلينا من مؤلفات أولئك الرحالة، ويجب أن تؤخذ كتابات النوع الأول بالاحتياط والحذر خاصة إذا لم يتفق مع التوجه العام لسياق الأحداث التاريخية ذاتها، وروح العصر نفسه. وقد اعترف ثيسجر أنه عايش قبائل المعدان لمعرفة عاداتهم ولم

---

(1) شاز: الطريق إلى الجزيرة، ص 287.

(2) الموافي: الرحلة في الأدب العربي، ص 50.

(3) سلوت ب. ج.: (مرحلة التنافس الأوروبي بين عامي 1600 و1800 ونظرة المبعوثين الأوروبيين إلى القوى العربية)، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996)، ص 181.

يتسن له (ذلك إلا بالعيش بينهم). فكان (الشخص الأجنبي الأول الذي عاش بين المعدان فرداً منهم... لمعرفة الحياة التقليدية لدى الآخرين).[1]

ولعامل الوقت، أهمية كبرى تنعكس على نتاج الرحالة من حيث ضخامة المعلومات الواردة فيه ودقتها، ومن هنا وجد من يتوخى الصدق ويعتمد على الدقة في الوصف، ووجد من يكتفي بنظرات سطحية ولمحات عابرة. فمنهم من امتدح، ومنهم من ذم، ومنهم من عرف كيف ينظم أفكاره، ويتعمق في نظرته، ويصدق في كلامه، ومنهم من اقتصر على عرض أفكار مبعثرة عابرة، وعلى إبراز معلومات خاطئة، وأخيراً فإن بعضهم يتكلم بلسان العقل والمنطق، فيما ينطق بعضهم الآخر بلغة القلب والعاطفة، وفضلاً عن ذلك، فقد كانت أساليب هؤلاء الرحالة، هي أيضاً على قدر كبير من التباين والاختلاف. فمنها ما كان صحيح اللغة متين الألفاظ، متماسك العبارات، ومنها ما جاء على العكس ضعيفاً ركيكاً حافلاً بالأخطاء اللغوية المتعددة. وذلك نظراً لاختلاف درجة ثقافة هؤلاء، وللظروف المؤاتية أو المعاكسة التي رافقت كلاً منهم، وطبيعي أن يتأثر هؤلاء الرحالة، اللاحق منهم بالسابق، فينقل عنه المعاني والصور، وأحياناً العبارات والألفاظ.[2] ونتيجة لمشاهدات الرحالة السريعة يقع في أخطاء، وملاحظات قد يبديها أشخاص معينون لا يعكسون وجه الحقيقة، فلا عجب أن يقع الرحالة في مبالغات وأخطاء ينبغي التنبه إليها، وعدم اعتبارها حقائق تاريخية موثوقة.[3]

ونرى فريزر يعترف أن قصر مدة إقامة الرحالة غير كافية ليكون بإمكانه استيعاب المعلومات فـ«عند الوصول إلى مكان غريب لابد أن تنقضي بنوع

(1) فيسجير: رحلة، ص 36، 80.

(2) جبر: الرحالة الفرنسيون، ص 38، 39.

(3) سهيل قاشا: الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب خلال الحكم العثماني، (بغداد: شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2009)، ص 86.

مــن الدوامة المحمومة الحالمة، التي لا يمكــن أن تكون مؤاتية للحصول على المعلومــات الصحيحــة أو تكوين فكرة عمــا يحيط بالمرء. ففيهــا يتم تبادل الاستفســارات والأجوبــة ويتطرق المــرء إلى الحديث عن أشيــاء شتى، لكن شيئــاً من المعرفة عن الأمكنة والمواقع يعــد ضرورياً له قبل أن يكون بإمكانه استيعاب المعلومات التي تنقل إليه».[1] ويقول أرنست وايز: «أما السؤال الثاني الذي كثيراً ما يطرحه القراء هو: لماذا أقضي وقتاً أكثر أثناء رحلاتي لبلدة ما بــدلاً من العبور السريع للكثــير من البلدان خلال أشهــر أو حتى أسابيع قليلة؟ وهذا يصعب تفسيره لأنني أعترف أن بقضائي مدة وجيزة في بلد ما سوف لــن أتمكن من الوصول إلى فهم الســكان الأصليين لتلك البلاد بقدر ما سيمكنني ذلك في حالة بقائي معهم لمدة أطول، حيث سيمكنني ذلك من دراستهم دراسة حقيقية ومتعمقة».[2]

ومــن هذا المنطلق أتفق مع ما أورده حمد الجاسر: «إن القارئ العربي كثيراً مــا تعتريه حالة الريبة والشك حيال كتابات الغربيين عن العرب، وهي حالة مــع منافاتها للحكمة العربية القديمــة (الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدهــا) لا تتفق مــع المنطق القويم في شــيء، فالحق يجب قبولــه، أياً كان مصــدره، والباطل لا يتوقــف رفضه على معرفة مصــدره، وأولئك –بحكم بعدهــم عنا وجهلهم لأحوالنا في الماضــي– تشوب كتاباتهم عنا شوائب من الخطــأ، لا ينبغي أن تكون حائلاً بيننــا وبين المعرفة، بل الأجدر بها أن تكون من الحوافز التي تدفعنا إلى معرفة كل ما يكتب عن بلادنا وتاريخنا، لنقبل الحق، وننتفع به، وننفي الزيف ونأباه».[3]

---

(1) فريزر: رحلة، ص 75.

(2) وايز: عشرة آلاف، ص 10.

(3) جاكلــين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، قدري قلعجي (ترجمة)، (بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت.)، ص 16.

النظـرة المسبقـة: فقـد جـاء الكثير مـن الرحالـة يحملـون في مكنوناتهم نظرتهـم المسبقة للعرب علـى أنهم متوحشـون، فيذكر أدولفـو ريفلدينيرا أن «أولئـك الذيـن لا يعرفون جيـداً طبيعة هؤلاء البـدو، مقدمين لهم عادة مسوغـاً للشكـوى، ويستفيضون في معظـم الأحيان في تذكـر أحكام مسبقة مـن الرحالة غير المؤهلين جيداً، فالاعتقاد الغالب في أوروبا عن البدو أنهم متوحشـون، وأنهـم مستعـدون دائماً للسطـو والقتل، ربما لأنهـم لم يعرفوا التلغـراف والسفينة البخارية، دون الأخذ في الاعتبار أن الحكم على الناس في أي مـكان يجـب أن يستند إلـى المفهوم المزدوج للمعرفـة والمشاعر، التي تكون أكثر عرضة للحرج، حين تكون أقل ذبولاً في ميدان الأهواء والانفعالات المتعارضـة، والأوروبيـون الذيـن يسخرون مـن العرب عنـد تعاملهم معهم وينتقدونهم يمكن مقارنتهم بأولئك الأشخاص المتعبين من العيش، ويريدون ممن هم ليسوا كذلك أن ينظروا إلى العالم بمنظارهم نفسه».[1] إن الرحالة والمستشرقين عموماً يفدون إلى البلاد التي يريدون اكتشافها أو دراسة أهلها وثقافتهم وحضارتهم ومعتقداتهم ويكون أغلبهم قد تشبعوا بآراء وأفكار قد حسبوهـا حقائق أخذوها عن أشخاص أو كتب دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث المتجرد.[2]

ومنـذ القرن الخامس عشر، بدأت أوروبا الاستعمارية تنظر بغطرسة وتعالٍ وبطمـع في خيرات الشرق الغامض، وتلك الصـورة التي ارتسمت في مخيلة الرجـل الغربي، فالشـرق يمثل الآخـر البعيد والمجهول، ومنـذ ذلك الحين والشرق الإسلامي، يظهر في أغلب الكتابات مشوهاً، والرجل الشرقي لديهم إمـا بدوي لا يعـرف معنى للحضارة وإما جاهل متخلـف يتصرف بوحشية،

(1) ريفادينيرا: من سيلان، ص 144، 145.

(2) رونكيير: عبر الجزيرة ص 17، 18.

وهــذه الصــورة تتكــرر في جميــع الكتابات الغربيــة اللهم إلا النــزر اليسير الذي كتب بشيء من التجــرد.[1] وعلى الرغم من اختلاف ملاحظاتهم عن العــرب، إلا أنهم تبنوا موقفاً موحداً من حيــث تعاملهم مع المجتمع العربي، حيــث اعتبروه مجتمعــاً عفى عليه الزمــن، يتمسك بتقاليــد وأساليب حياة باليــة، وقد ذهب بعضهم في تصوير المنطقة بمفردات أرجعتها إلى العصور الوسطى.[2]

الحســ السياسي لــدى الرحالــة: فمعظم الرحالــة سياسيون مــن الدرجة الأولى، وكانت كتاباتهــم مفعمة إلى حد كبير بالقضايا السياسية وتراوحت المعلومــات والأفــكار السياســية التــي اندرجــت في كتاباتهــم بــين التقارير الشبيهــة بتقارير المخابرات عن كبار الشخصيــات المحلية والمستوى الرفيع المتعلق بالقضايا السياسية ذات الأهمية الإستراتيجية.[3]

اختــلاف مصــادر الرحالــة: اعتمــد الرحالة في جمــع المادة علــى السماع والملاحظــة المباشرة والمشاهدة والمشاركة والمعايشة، فيذكر بوركهارت مثلاً أنــه لا يستطيــع أن يصف حفــل زواج في مكة المكرمة لأنــه لم يشاهد واحداً منهــا، وأنه لم يقل الكثــير عن عادات أهل المدينة المنــورة لأنه لم يخالطهم كثــيراً بسبب مرضــه، ويعيش داوتي سنتــين وسط فخذ مــن قبيلة الفقراء البدويــة كواحد منهم متنقــلاً معهم في الصحراء ومتحمــلاً شظف العيش وقســوة الطبيعة، وحرص الرحالة في كثير من الأحايين على ذكر أسماء من زودوهم بالمادة. كمــا حرصوا على تمحيص المادة بالمقارنة، وجمعها نفسها مــن مصــادر مختلفة، وفي هــذا يميز بالجريــف مثلاً بين ثلاثــة مستويات

---

(1) بطي: كتابات الرحالة والمبعوثين، ص 7، 8.

(2) شاز: الطريق إلى الجزيرة، ، ص 290.

(3) مهدي: تحليل للمصالح النفطية، ص 341.

بالنسبة لصحة أو خطأ ما يذكره من معلومات: أولها ما شاهده بنفسه، وتأكد منه عملياً، وثانيها ما استنتجه، وثالثها ما سمعه من الناس، وهو يقول بصحة المستوى الأول، ويترك الثاني لتمحيص القارئ وموافقته أو عدمها، أما المستوى الثالث فللقارئ أن يقومه، وبالتالي يقبله أو يرفضه.[1]

أحكام الرحالة سلباً وإيجاباً: إن الرحالة يصدرون أحياناً أحكاماً قيمية سلباً أو إيجاباً على ما شاهدوه أو سمعوه، وهي أحكام مستمدة من قيم مجتمعهم الذي يختلف عن المجتمع العربي الإسلامي، ويصفون بالتفصيل لقرائهم أشياء بديهية للقارئ العربي، أو يشبهونها بما هو مألوف لديهم.[2] إلا أن بعضها اختلط بالوهم والغموض والتصحيف والأباطيل، والالتباس والتحريف، والخرافات، وكان أغلبها معقوداً على الاستطلاع العابر.[3] فتراوحت بين الإيجاب والسلب، فمنهم من امتدح، ومنهم من ذم، ومنهم من أحب، ومنهم من أبغض، وهذا أمر طبيعي، نظراً لاختلاف مشاعر هؤلاء وتنوع شخصياتهم فضلاً عن تعدد اتجاهاتهم وعدم توافق مذاهبهم. فهناك فريق من الرحالة، قد تغنى بجمال طبيعة الشرق، وقداسة أرضه، وأعجب ببعض عادات شعبه، وطرافة أزيائه، واستمرأ أنواع أطعمته، وتلذذ بطعم فاكهته ومذاق خمرته، وأشاد بمهارة مزارعيه، وحذق صناعته، وروعة مشترياته، وأثنى على جمال أبنيته، واستتباب أمنه، مشيداً بحدة ذكاء شعبه، وبراعة بعض شعرائه، مبدياً إعجابه أخيراً بأمور متعددة أخرى، كان لها في نفسه أكبر الأثر. وثمة فريق آخر على العكس لم يكن لجمال هذه البلاد أي تأثير إيجابي عليه، فإذا به لا يكتفي بعدم إبداء اكتراثه لروائع طبيعتها، بل نراه ينكرها، ولم ترق له كذلك بعض عاداتها، فيما بدت له

(1) نصر: التراث الشعبي، ص 17.

(2) نصر: التراث الشعبي، ص 20.

(3) المس بيل: العراق، ص 8.

أزياء شعبها بعيدة كل البعد عن الذوق والأناقة، وأطعمة سكانها مضرة وغير مثيرة للشهية، هذا فضلاً عن استقباحه استشراء الظلم وفداحة الضرائب، وشيوع الرشوة، وفقدان الأمن، وسيطرة الجهل، وغيرها من المظاهر، التي كانت تطالعه أثناء تنقله في هذه البلاد واختلاطه بسكانها.[1]

بعض الرحالة غير منصفين: فليس كل الرحالة كانوا معصومين في كتاباتهم من الخطأ، فقد كانوا يخطئون[2]، ومن ثم نجدهم في بعض الأحيان يدعمون رواياتهم بالأسانيد والبراهين الدالة على صدقها، وأحياناً أخرى يأخذون ما سمعوه من أفواه معاصريهم على أنه حقيقة واقعة واجبة التصديق، غير أن هذا النقص يمكن تداركه من خلال مقارنة المصادر التاريخية والاقتراب من الحقيقة قدر الإمكان[3]، ولا ينبغي ألا تقف أخطاؤهم في سبيل الاستفادة مما قالوه.

كتابات الرحالة غير محايدة، فقد احتوت على إشارات متحاملة تجاه المسلمين، ومن ثم يتطلب الأمر الحيطة والحذر في معالجة مثل تلك الروايات، وعدم الأخذ بها كحقيقة تاريخية واقعة[4]، على الرغم مما قدمته من حقائق[5]، إلا أن بعضهم تنقصه الدقة والأمانة العلمية، إضافة إلى دوافعهم الدينية حينما يكتبون عن المسلمين. ومهما يكن من أمر فإن ما كتبه الرحالة عن بلادنا يصطدم أحياناً بأمور عدة، منها جهلهم بأحوالنا، وبعدهم عن بيئتنا، ولذا فقد تشوب كتاباتهم عنا شوائب من الخطأ.[6]

---

(1) جبر: الرحالة الفرنسيون، ص 411، 412.
(2) نصر: التراث الشعبي، ص 23.
(3) عوض: الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس، ص 9، 10.
(4) عوض: الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس، ص 11.
(5) جبر: شمال شبه الجزيرة، ص 320.
(6) الشيباني: أهداف الرحالة، ص 515، 516.

فضــلاً عما ورد في ثنايا كتاباتهم من خرافات وأساطير، وانتقادات قاسية، لم يكــن لها مــن مبرر ســوى جهلهم بأحــوال البلاد، وتعصبهــم لعقيدتهم الدينية ولقومهم الأوروبيين، ليس إلا.[1]

الطابــع النقــدي للرحالة: لعل مــن أهم ما يجــب أن يتحلى بــه الرحال امتلاك روح الناقــد البصــير المحايــد، وإذا لم تكن هــذه الروح كامنة فيــه قبل تحركه، فــإن الرحلة كفيلة ببثهــا في نفسه.[2] إن ما يميز الرحــال الحق عن المزيف كونه مستطيعــاً نقد مــا يرى، هو لا يكتفــي بالمشاهدة والوصف، ولكنــه يتعداهما إلى التفســير والنقــد، وقد أدرك الرحالــة القدماء هذا الطابع المــزدوج، لذا جاءت كتاباتهم –في الأغلــب– سجلاً وافياً وعميقاً عن انطباعاتهم عن حياة الشعوب التــي زاروها، ومظاهــر سلوكهــم وعوائدهــم وتقاليدهم ونظمهــم الاجتماعية والسياسية، وتقويماً لإنجازاتهم في مختلف ميادين الثقافة، ولم تكن مجرد سرد وصفي لتفاصيل الرحلة والأحداث العابرة التي مرت بهم أثناء ذلك.

إن الرحــال لا ينقد مــن أجل النقد، ولكنه يحــاول إصلاحــاً بطريقته الخاصة، وبمــا هداه إليه فكره. وعن طريق هذا النقــد الجزئي المعتبر يمكن تكوين صورة صادقــة لمــا يجب أن يكون عليه البشــر، وذلك بتجميع هذه الأحــكام بعضها إلى بعضــ، والوسيلــة المثلى لتقديم هــذا النقد ألا يكون مباشــراً أو جارحاً، بل يكون مبثوثاً في تضاعيف الكتاب، وليس من النقد في شيء أن يسرف الرحال في وصف محاســن بلــد أو ذمه بنــاء على حوادث فرديــة عارضة عاشها. قــد يتخذ النقد طابعــاً فكاهياً ساخراً –حينئذ– أبلغ في الوصول إلى الأثر المرجو، وقد يبلغ هذا الطابع الفكاهي ذروته فيسم رحلات بعينها، أو يصبغ أجزاء منها بصبغته.[3]

---

(1) راوولف: رحلة، ص 6.

(2) المواف: الرحلة في الأدب العربي، ص 55.

(3) المواف: الرحلة في الأدب العربي، ص 57، 58.

كثير من شخصيات الرحالة مبهمة: ومن العقبات التي تعترض طريق البحث في موضوع الرحالة الأوروبيين، أننا لا نعرف إلا أقل القليل عن الجوانب الشخصية لكل رحالة، وليست لدينا تراجم مفصلة عن كل منهم على نحو يعيننا في فهم رحلته ودراستها بصورة أكثر تفصيلاً، ومع ذلك فمن الممكن معرفة بعض الإشارات عنهم من خلال المعلومات المتناثرة التي تحتويها رحلاتهم نفسها، وذلك على الرغم من إدراكنا الكامل لحقيقة أن الرحالة عندما يكتب رحلته يتحدث عن الآخرين، والمحيط الذي تعامل معه أكثر من حديثه الشخصي عن نفسه هو.[1]

أدب الرحلة وعاء لكل مضمون، فالرحالة لا يفرق بين مضمون مهم وآخر تافه، كل مضمون قابل للتدوين طالما قبله ذوق الرحال واقتنع به[2]، وعليه يجب الحذر من كتابات الرحالة لأنهم قبلوا الأقاصيص التي سمعوها والأساطير التي حكيت لهم دون أن يجادلوا بشأنها أو يناقشوها. ولذلك يحتم علينا أن نقرأ أخبارهم ونحن على أشد ما نكون من الحذر.[3]

بعض كتابات الرحالة بطاقات بريدية: إن أكثرية ما احتوته كتب الرحالة، هي مجرد بطاقات بريدية، فالرحالة قد يمكث أسابيع ويكتب عنها كتيباً متبجحاً بما يعرفه من خفاياها، وجغرافيتها السرية، وأمجادها الغابرة، والمشاهير الذين عاشوا فيها أو مروا بها، فيهرجون الكتابة ويسطحونها، بحثاً عن شهرة فقاعية، وزبائنهم القراء هم أيضاً المرضى بالافتتان والغرائبي. وما أكثر الذين كتبوا من خلال أهوائهم وملذاتهم أو نزواتهم أو حاولوا نسيان شقائهم فيها.[4] ونرى لويس دي مورس مثلاً يعترف أن

---

(1) عوض: الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس، ص 10، 11.

(2) المواي: الرحلة في الأدب العربي، ص 48.

(3) زيادة: الرحالون المسلمون، ص 57.

(4) السنجري: البدو بعيون غربية، ص 123، 124.

مــا يدونــه ملحوظات ليس إلا، فيقول: «مذكراتي التــي أسوقها هنا بما فيها من ملحوظات وهوامش... في صورة قصة سهلة وحوار عادي، وعليه يصبح مــن الضروري أن يعمد قرائي الأعزاء بما لديهم من ذكاء إلى أن يستبدلوا بأسلوبــي أسلوبهــم المناسب الذي يعوض ما ينقصنــي من عبارات من أجل تحســين الأسلــوب، وبهذا تتكون لديهم فكرة واضحة عــن المفاهيم التي أود أن أبرزها».[1]

اعتمــاد الكثــير على كتب من سبقهــم: ومنهم من اطلع بصــورة وافية على كتابــات من سبقــوه فبعضهم يبدو وكأنــه يتلو عن ظهر قلــب كتاباً للتاريخ. وبعضـ الرحالــة لم يكن يعرف القيمــة الحقيقية لهذا النــوع الأدبي، لذلك مزجوا بين أدب الرحلة والمغامرة الشخصية، كما في حالة توماس وثيسجر، فالكثــير من الرحالة كانوا متأثريــن بالكتابة الصحفية التي لاقت رواجاً في بدايات ومنتصف القرن العشرين، وهي الفترة التي قام بها توماس برحلته، أي في ثلاثينات القرن، وثيسجر من بعده في أربعينيات القرن نفسه.[2]

النظرة العدائية للإســلام والعرب: فقد قام كتاب الرحلات الغربيون كافة بتصنيف العرب في مرتبة أدنى من الناحية العرقية والثقافية، بل لقد ذهب بيرتون إلى حد الاستدلال ببعض ملامحهم الجسدية ليبرهن على بدائيتهم، مستغــلاً ما لديه من معرفة في علم الإنسان ليؤكــد وجهة النظر تلك، وكان بلجريــف هو الوحيد الذي اعتبرهــم أسمى مــن الأجناس الشرقية الأخرى، إلا أنــه لم يستطع تقبل فكــرة مساواتهم بالشعب الإنجليــزي، أما بلجريف وداوتــي فقــد اعتبروهم مجــرد مجموعة من الجهلــة الوثنيــين، لا يعلمون

---

(1) لويــس. اثبيتيــا دي مورس: البحث عن الحصان العربي، مأمورية إلى الشرق: تركيا.. سورية.. العراق.. فلسطــين، عبدالله بــن إبراهيم العمير (ترجمــة)، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيــز، 1428هـ)، ص 141.

(2) السنجري: البدو بعيون غربية، ص 129.

شيئـاً عن الحضـارة والثقافة، فالهمجية المفترضـة في العرب فكرة مكررة في مؤلفـات هـؤلاء الرحالة، وفي هذا الإطار، يبدو الأمـر أفضل مع لورانس وفيلبـي، ولكن تبقى حقيقة أنهم أشـاروا إلى العرب بنفس اللهجة المتعالية، ولم يحاولـوا مطلقـاً مقارنـة أنفسهـم بهم، ففـي مؤلفاتهم يظهـر العرب كعنصـر لا يمكنه التطور والازدهـار إلا تحت الرعاية الحنونة للبريطانيين، وما كان إعجاب لورانس بفيصل، وإعجاب فيلبي بابن سعود إلا نتيجة ثانوية طبيعيـة لهذا المفهوم، ولكن إعجابهم لم يكن قائماً على الحب أو الصداقة، ويلاحظ المرء شغفاً خاصاً عند هؤلاء الرحالة لإبراز أدق الصفات الغريبة، التي يكتشفونها عند بعض العرب والإشادة بها.

وجدير بالذكر أننا على الرغم من إدراكنا لأهمية مؤلفات الرحالة كمصدر من مصادر الكتابة التاريخية، فإن المحاذير السابقة تجعل الباحث يدرك أن لها إيجابياتها، وعليها سلبيات معينة، ولذلك تطلب الأمر التعامل معها من خلال الزاويتين معاً. ورغم ذلك فإنه لا يمكن تصور كتاب في أدب الرحلة لا يقـدم معرفة، أو لا يضيف جديداً، وحقـاً قال أحد الرحالين: «إذا لم تضف الرحـلات إلى قائمـة المعرفة البشرية، فإنها تصبح عـادة ضارة». والرحلة وثيقـة يمكن الركـون إليها، لأنهـا: محددة الزمـان والمـكان، واقعية وذات أهداف ونتائج، معروفة المؤلف. إنها يمكن أن تعد شهادة على العصر، الذي عاشـه، شاملة كافة جوانبه ومحتوياته يحركها هـدف نبيل. والرحلة وثيقة حية، ونتاج معاينة ومعانـاة، وفوق ذلك يمكن اعتبارها نتاج أذواق منقحة، ولـذا فإن الاعتماد عليهـا مبرر. من ثم يعتـبر (أدب الرحلات) إلى جانب قيمته الترفيهية والأدبية أحياناً، مصدراً هاماً للدراسات التاريخية المقارنة. إن إدراك الرحالة للطابع الوثائقي لرحلاتهم، جعلهم يزودون كتبهم بكل ما يؤكد هذا الجانب، كالخرائط والإحصاءات والتواريخ الدقيقة، والحوادث،

والتفصيــلات الصغـيرة، وفي عصرنا لا يكاد كتــاب في أدب الرحلات يخلو من صور (فوتوغرافيــة) للرحال في أماكن ومواقف مختلفة، وكأنه يريد أن يثبت بدليل قاطع أنه قام برحلته فعلاً.[1]

ورغم ذلك فإن كتابات الرحالة تتضمن حقائق تاريخية، حين نغض الطرف عــن بعضــ الهنات، إلا أن هناك لحظات في ثنايــا سردهم يتحدثون فيهاب باستحســان عــن العادات العربيــة، فالشخص الذي يلمــز العرب في إحدى صفحــات كتابــه، قد يبدي إعجابه بفضائلهم في بعضــ صفحات أخرى من نفســ الكتــاب، ولا ينبغــي للبحث الجــاد أن يتجاهــل أياً مــن الموقفين، فما يعنينــا حقيقــة للحكم النهائي علــى اتجاه ما، ليس مقدار هــذا أو ذاك من التعليقــات، بل على موقف الكاتــب الأساسي، والذي يعد المسؤول أصالة عن هــذه التعليقات، فإذا أبدى الرحالة مظاهر عدائه للأمة العربية في مستهل حديثــه، فلا يهم كثيراً وجود إشــارات تأييد عارضة في مؤلفه، لأن مثل هذه الإشــارات لا تعــد عوضاً عــن موقفه المتحامــل، وبدلاً مــن اكتشاف الموقف الرئيسي خارج الرواية.[2]

(1) المواي: الرحلة في الأدب العربي، ص 49، 50.

(2) شاز: الطريق إلى الجزيرة، ص 13.

أهم الرحالة الذين زاروا الشرق

وعـن أهم الرحالة الذيـن زاروا المنطقة العربية، ففـي القرن الثالث عشر: الرحالة الإيطالي ماركو بولو(Marco Polo 1298).

القـرن السادس عشـر: البرتغـالي دوارتـي باربوسـا(Duarte Barbos 1500)، والإيطـالي لودفكـو فارتيمـا (Lodovico Varthema1502)، البرتغـالي أنطونيـو تنريـرو (Antonio Tenreiro 1520)، وسيـدي علـي التركـي (1553)، الإيطـالي فيدريجـي (Viaggio di M. Cesare dei Dedrici 1563)، والألمـاني ليونهـارت راوولـف (Leonhart Rauwolf 1573)، والإيطـالي كاسبارو بالبي (Gasparo Balbi 1579)، والإنجليزي جـون نيوبـري (John Newberry 1581)، والإيطـالي بيـترو ديـلا فالي (Pietro Della Valle 1586)، والإنجليـزي أنتـوني شـيرلي (Antony Sherley 1589).

القـرن السابع عشـر: البرتغالي بدرو تكسـير (Pedro Teixeira 1604 ا)، والبرتغـالي أنطونيو دي جـوفي (Antonio de Gouvea 1612) والإيطالي ديللا فالا (Della Valle 1616)، والفرنسي ملكيسدك تيفينو (Thevenot 1620)، والفرنسـي فيليـب الكرملـي (R. B. Philip Carmelite 1629)، والفرنسـي جـان بايتيسـت تافرنييـه (Jean Baptist Tavernier 1632)، والفرنسـي م. د. تيفنـو (M. D. Thevenot 1638)، والفرنسـي دو لـورا (Eu Loir 1639)، والفرنسـي جان شاردان (Chardin 1643)، والفرنسي أنطـوان غـالان (Galland 1646)، والإيطـالي جوزيـه سبستيـاني(G. Sebestiani 1656)، والراهـب الإيطـالي فنشنسـو (Viencnzo 1656)، والأب الفرنسـي م. كاديـه (M. Carre 1672)، والبريطـاني جوزيف بتس

(Joseph Pitts 1678) ، والألماني و. دابر (O. Dapper 1681) .

القرن الثامن عشر: الفرنسي بول لوكاس (P. Lucas 1704) ، والأسكتلندي أ. هاملتون (A. Hamilton1721) ، والفرنسي م. أوتر (M. Otter 1736) ، وطه الكردي الباليستاني (1743) ، والإيطالي دومينيكو لانزا (D. Lanza 1754) ، والدنمركي كارستن نيبور (Carsten Nibuhr 1760) ، والإنجليزي ابراهام بارسونز (A. Parsons 1774) ، والإنجليزي ايليس أورين (E. Irwin 1776) ، والفرنسي م. دانفيل (M. D'anville 1779) ، والبريطاني كامبل (Campbell 1781) ، والإيطالي دومينيكو سستيني (D. Sestini 1781) ، والفرنسي جوزيف بوشامب (Joseph De Beauchamp 1783) ، والفرنسي الكونت دي فيريه – سوفبوف (De Ferrieres Sauveboeuf 1785) ، والبريطاني ث. هاول (Th Howell 1788) ، والإنجليزي جون تايلور (John Taylor 1789) ، والبريطاني الميجر ج. تايلور (J. Taylor 1790) ، والفرنسي ج. أ. أوليفيه (G. A. Olivier 1791) ، والإنجليزي وليم فنسنت (W. Vincent 1792) ، والإنجليزي ج. جاكسون (J. Jacxon 1797) .

القرن التاسع عشر: الفرنسي جان جوزيف مارسيل (J. J. Marcel 1801) ، والإسباني دومنجو باديا لبليخ (Domingo Badia y Lebieh 1807) ، والفرنسي جان باتيست روسو (1807) ، والفرنسي دوبريه (Dupre Adrien 1807) ، والبريطاني كلوديوس جيمس ريج (C. J. Rich 1808) ، والفرنسي جان باتيست لوي جاك بارون روسو (Jean Batiste Louis Jacques Baron Rousseau 1808) ، والألماني أورليخ جاسبار سيتزن (Ulrich Jaspar Seetzen 1808) ، والإنجليزي جون مكدونالد كينير (J. M. Kinneir 1810) ، والفرنسي الفونس دي لامارتين (Lamartine

1810)، والبريطاني جون لويس بوركهـارت (John Lewis Burckhardt 1812)، وأيسـتر ستانهـوب (Hester Stanhope 1813)، والإنجليـزي جيمس سن.، بكنكهـام، (J. S. Buckingham 1816)، والبريطاني وليم هـود (W. Heude 1817)، والإنجليـزي روبـرت كير بورتـر (Sir R. Ker Porter 1818)، والبريطـاني جـورج فورستر سادلـير (George Forster Sadleir 1819)، والبريطاني جورج كيبل (G. Keppel 1824)، والفرنسي كييـوم لجـان (Guillaum Lejean1828)، والبريطـاني جيمس ريمونـد ولسـتـد (James R. Wallstead 1830)، والإنجليـزي ج. ر. ويلستيـد (J. R. Wellsted 1831)، والإنجليـزي أنتوني نوريس جروفز (A. N. Groves 1831) والبريطـاني جيمس بيلي فريزر (J. B. Fraser 1831)، والفرنسي بيـير دفـال (P. Duval 1832)، والبريطـاني جيمس روس (J. Ross 1834)، والإنجليـزي ر. أ. شيـزني (R. A. Chesney 1835)، والفرنسـي ف. فونتانييـه (V. Fontanier 1835)، والفرنسي توماس أرنو (Thomas Arnaud 1835) والبريطاني ج. شيل (J. Sheil 1836)، والإنجليزي هنري رولنسون (H. C. Rowlinson 1836)، والإنجليزي دبليو ف. أنزورث (W. V. Ainsworth 1837)، والبريطـاني ر. مينجـان (R. Mimgan 1839)، والإنجليزي أوستن هنري لايـارد (A. H. Layard 1839)، والفرنسي ليون روشـ (Leon Roches 1841)، والفرنسـي بـول إميل بوتـا (Paul Emile Botta 1843)، والفنلنـدي جورج أوغسطس فالـين (George Augustus Wallin 1845)، والأمريكـي وليم بيري فوك (Wm. Perry Fogg 1847)، والبريطاني جيمس فيلكس جونز (J. F. Jones 1848)، والإنجليزي و. ك. لوفتس (W. K. Loftus 1849)، والبريطاني ريتشارد بيرتون (Sir Richard Burton 1852)، والألمـاني هـ. بيترمـان (H. Petermann 1854)، ووليم

جيفـورد بلجريـف (William Gifford Palgrave 1862)، والألمـاني جـول أوبـرت (Jules Oppert 1863)، والأسباني أدولفـو ريفادينيرا (1863)، والإنجليـزي جون آشـر (J. Aussher 1864)، والإيطـالي كارلو جورماني (Carlo Guarman 1864)، والبريطـاني لويـس بيلـي (Colonel Lewis Pelly 1865)، والهولنـدي تنكـو أنيهولـت (Tinco Anijeholt 1865)، والفرنسي جوزيـف هالفـي (Joseph Halevy 1869)، والبريطاني مايلز (Miles 1872)، والفرنسـي نيقـولا سيـوفي (N. Siouffi 1873)، والألماني جوزيـف سيرنيـك (Josef Cernic 1875)، وتشارلـز داوتـي (Charles Doughty 1876)، والليـدي آن بلنـت (Lady Anne Blunt 1878)، وتشارلز هوبر (Charles Huber 1878)، والفرنسية مدام ديولافوا (Mme Dieulafoy 1881)، والألمـاني إدوارد نولـدي (Eduard Nolde 1883)، والألمـاني يوليوس اويتنـغ (Julius Euting 1883)، والهولندي سنوك سي. هرخرونيـه (Snouck Christiaan Hurgronje 1884)، والفرنسي هنري بنديـه (1885)، والإنجليزي السير واليس بـوج (Wallis Budge 1886)، والإنجليـزي أ. بلوينـارد (A. Bleunard 1890)، والبريطانيـة مابـل بنت (Mabel Bent 1890)، والإنجليـزي سوانـس كوبـر (H. S. Cowper 1892)، والروسـي البارون ادوارد نولده (Baron Eduard Nolde 1892)، والإنجليـزي، ف. ر. ماونسل (F. R. Maunsell 1892)، والألماني هيرمات بورخـارت (1893)، والألمـاني البارون ماكس فـون أوبنهايم (Baron Max Von Oppenheim 1893)، والفرنسـي جيل–جرفيـه كورتلمـون (Jules Gervais Courtellemont 1894)، والأسكتلنـدي دبليو أ. ويكرام (W. A. Wigram 1897)، والبريطـاني عبد الله ويلمسن (Abdullah Williamson 1897).

القرن العشرين: الفرنسي كليمان هوار (C. Huart 1901)، والمجري ميهاي فضل الله الحــداد (1901)، والبريطــاني آرتشبالد فــوردر (Archibakd Forder 1901)، والإنجليزي مارك سايكس (M. Sykes 1902)، والأمريكي جــون فان أيســ (John Van Ess 1902)، والإنجليزي الميجر سون (E. B. Soone 1902)، والأمريكــي الأب صمويــل زويمــر (Samuel Zwemer 1904)، والبريطاني ج. لوريمر (J. G. Lorimer 1904)، والإسباني لويس اثبيتيــا دي مورســ (1905)، والبريطــاني جيرالد ايفلــين ليجمن (G. E. Leachman 1907)، والبريطــاني اس. اســ. بتلر (Captain S.S. Butler 1908)، والإنجليزية لوسا جب (Lausa Jebb 1909)، والإنجليزي برترام ديكســون (B. Dickson 1909)، والنمساوي ألويســ موزيل (Alois Musil 1909)، والإنجليزي ت. فــاول (T. Fowle 1910)، والفرنسي جاك بيرك (Jacques Berque 1910)، والإنجليزي دافيد فريزر (D. Fraser 1910)، والبريطــاني وليام هــنري شكسبــير (William H. Shakespear 1910)، والدنماركي باركلــي راونكــير (Barclay Raunkaier 1912)، والبريطاني بيرســي كوكســ (Percy Cox 1914)، والبريطاني توماســ إدوارد لورنس (T. E. Lawrence 1914)، والإنجليــزي ليتشمان (Leachman 1914)، والأمريكــي تشارلز بركس (Charles Brooks 1915)، والإنجليزي تشارلز باربــر (Charles Barber 1916)، والهندي ســي. أم. كرستجي (1916)، والبريطانيــة جيرتــرود بيــل (Gertrude Bell 1917)، والفرنســي لورون مارســال ديــوي (Laurent Marcel Depui 1917)، والإنجليــزي سي. ج. أدموندز (C. G. Edmonds 1919)، والبريطاني إرنست روبرت تشيزمان (Major Ernest Robert Cheesman 1921)، والأمريكيــة روزتــا فوربس (Rosita Forbes 1922)، والبريطــاني هــاري سانت جــون فيلبي (Hary،

(St. John Bridger Philby 1922)، والأمريكية كورنيلا دالنبرج (1922)، والإنجليزيــة أ. ي. ستيفنس E. S. Stevens المعروفــة بليدي دراور (Lady Drawer 1923)، والبريطــاني بيرتــرام توماســ (Bertram Thomas 1924)، والبريطــاني جيرالــد دي جــوري (Gerald De Gaury 1934)، والأمريكي ويليام بويهلر سيبروك (William Buehler Seabrook 1935)، والبريطــاني جــير الديــن رنــدل (Grealdine Rendel 1936)، والياباني إيجــيرو ناكانــو (1939)، والإنجليــزي ولفريد باتريك ثيسجــر (Wilfred Thesiger 1945)، والألماني لوثر شتاين (1962).

المصادر والمراجع

أولاً: العربية والمعربة

1 - إبراهيم الحيدري: صورة الشرق في عيون الغرب، (بيروت: شركة دار الساقي، 1996).

2 - ابن منظور: لسان العرب، عبدالله علي الكبير وآخرون (تحقيق)، (القاهرة: دار المعارف، د. ت.).

3 - أحمد الطوخي: شرقي شبه الجزيرة العربية في العصور الوسطى في كتابات الرحالة المسلمين، (الدوحة: مركز الوثائق والدراسات الإنسانية بجامعة قطر، 1990).

4 - أحمد عبدالرحيم نصر: التراث الشعبي في أدب الرحلات، (الدوحة: مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، 1995).

5 - أدولفو ريفادينيرا: من سيلان إلى دمشق، صالح علماني (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2009).

6 - أرنست وايز: عشرة آلاف ميل عبر الجزيرة العربية، عمر بن عبدالله باقبصر (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 1428).

7 - أسعد عيد الفارس: (الرحالة الغربيون في شبه الجزيرة العربية أهدافهم وغاياتهم)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000).

8 - الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001).

9 - السيد النجفي القوجاني: سياحة في الشرق، لجنة الهدى (ترجمة)، (بيروت: دار البلاغة للنشر والتوزيع، 1992).

10 - الكولونيل لجمن: رحلة الكولونيل لجمن في الجزيرة العربية 1909-1910، خالد عبدالله عمر (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006).

11 - الليدي آن بلنت: قبائل بدو الفرات عام 1878، أسعد الفارس؛ نضال خضر معيوف (ترجمة)، (دمشق: دار الملاح للطباعة والنشر، 1991).

12 - المس بيل: العراق في رسائل المس بيل 1917-1926، جعفر خياط (ترجمة)، عبدالحميد العلوجي (تقديم)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2003).

13 - إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر (القاهرة: مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، 1995).

14 - ألويز موزيل: في الصحراء العربية، رحلات ومغامرات في شمال جزيرة العرب 1908-1915، عبدالإله الملاح (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010).

15 - أميرة جبر: الرحالة الفرنسيون في موطن الأرز، دراسات وانطباعات عبر القرن التاسع عشر (1798-1918)، (بيروت: مؤسسة خليفة للطباعة، 1993).

16 - آنا ماري شيمل: الشرق والغرب: حياتي الغرب – شرقية، عبدالسلام حيدر (ترجمة)، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004).

17 - أنطوان نعمة (وآخرون): المنجد في اللغة العربية المعاصرة، (بيروت: دار المشرق، 2000).

18 - انيغريت نيبا وبيتر هربسترويت: رحلة عبر الخليج العربي من البصرة إلى مسقط من خلال صور نادرة للرحالة الألماني هرمان بورخارت، أحمد إيبش (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009).

19 - باركلي رونكيير: عبر الجزيرة العربية على ظهر جمل، منصور محمد الخريجي (ترجمة)، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1999).

20 - بلقاسم سعد الله: (رحلة ليون روش إلى الحجاز 1841-1842)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000).

21 - بيتر برنيث: بلاد العرب القاصية، رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب، خالد أسعد عيسى؛ أحمد غسان سبانو (ترجمة)، (بيروت: دار قتيبة للنشر والتوزيع، 1990).

22 - توركيل هانسن: من كوبنهاجن إلى صنعاء، محمد أحمد الرعدي (ترجمة)، (صنعاء: الهيئة العامة للكتاب، 2001).

23 - جاكلين بيرين: اكتشاف جزيرة العرب، قدري قلعجي (ترجمة)، (بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت.).

24 - جلال السعيد الحفناوي: (الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الأدب الأردي)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية الجزء الثاني، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000).

25 - جمال محمود حجر: الرحالة الغربيون في المشرق الإسلامي في العصر الحديث، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2008).

26 - جليل العطية: (كربلاء في عيون الرحالة الغربيين)، بكتاب: دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، (الكويت: مؤسسة الزهراء الخيرية، 1996).

27 - جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، (بغداد: جامعة بغداد، 1993).

28 - جيمس بيلي فريزر: رحلة فريزر إلى بغداد سنة 1834، جعفر الخياط (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006).

29 - حسام مهدي: (تحليل للمصالح النفطية وأعمال الرحالين الغربيين)، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996).

30 - حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1983).

31 - حسين محمد فهيم: (كتابات الرحالة الحديثة عن الخليج)، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996).

32 - حمد محمد جمعة بن صراي: (منطقة الخليج العربي في رحلة بنيامين التطيلي)، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996).

33 - خالد البسام (إعداد وترجمة): صدمة الاحتكاك، حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية 1892-1925، (بيروت: دار الساقي، 1998).

34 - خورشيد باشا: رحلة الحدود بين الدولة العثمانية وإيران، مصطفى زهران (ترجمة)، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009).

35 - دومنجو باديا: رحلة إسباني في الجزيرة العربية رحلة دومنجو باديا (علي باي العباسي) إلى مكة المكرمة سنة 1221هـ/ 1807م، صالح بن محمد السيدي (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 1429).

36 - ديللافاليه: رحلة ديللافاليه إلى العراق مطلع القرن السابع عشر، بطرس حداد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006).

37 - دينيزيوس ألبرتوس إيكيوس: (عرض لأعمال الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين المتاحة للباحثين وتصويرها للوضع الاجتماعي والاقتصادي للمنطقة)، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996).

38 - راشد شاز: الطريق إلى الجزيرة العربية، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2007).

39 - روبن بدول: الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، عبدالله آدم نصيف (ترجمة)، (الرياض: المترجم، 1989).

40 - زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، (بيروت: دار الرائد العربي، 1981).

41 - سبستياني: رحلة سبستياني، الأب جوزيبه دي سانتا ماريا الكرملي إلى العراق سنة 1666، بطرس حداد (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006).

42 - سلوت ب. ج.: (مرحلة التنافس الأوروبي بين عامي 1600 و1800 ونظرة المبعوثين الأوروبيين إلى القوى العربية)، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996).

43 - سليم الحسني: ألف اختراع واختراع، التراث الإسلامي في عالمنا (الدوحة: متحف الفن الإسلامي، 2011).

44 – سمير عطا الله: قافلة الحبر الرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية والخليج، (بيروت: دار الساقي، 1994).

45 – سهيل قاشا: الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب خلال الحكم العثماني، (بغداد: شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2009).

46 – سوانسن كوبر: رحلة في البلاد العربية الخاضعة للأتراك من البحر المتوسط إلى بومبي عن طريق مصر والشام والعراق والخليج العربي في 1893م، صادق عبد الركابي (ترجمة)، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2004).

47 – سي. أم. كرستجي: أرض النخيل أو رحلة من بومباي إلى البصرة والعودة إليها 1916–1917 ، منذر الخور (ترجمة)، (المنامة: مطبوعات بانوراما الخليج، 1989).

48 – شارل هوبير: رحلة في الجزيرة العربية الوسطى 1878–1882، إليسار سعادة (ترجمة)، (بيروت: كتب للنشر والتوزيع، 2003).

49 – شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، (بيروت: دار صادر، 1977).

50 – عباس العزاوي: النخل في تاريخ العراق، (بغداد: مطبعة أسعد، 1962).

51 – عبدالحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين، (القاهرة: مكتبة مدبولي، د. ت.).

52 – عبدالخالق المفضل أحمدون: (الرحلة الحجازية الصغرى لأبي عبدالله محمد بن عبدالسلام بن ناصر الدرعي (ت 1239هـ/ 1823م) قيمتها العلمية والتاريخية)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000).

53 – عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: المقدمة (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، د. ت.).

54 – عبدالعزيز بن صالح الهلابي: (الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني (دراسة مقارنة))، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000).

55 – عبدالله بن عبدالرحمن آل عبدالجبار: (دراسة تحليلية لكتاب مرتفعات جزيرة العرب لجون فيلبي)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الثاني، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000).

56 – عبدالله بن محمد المطوع: (الرحالة الغربيون ورواياتهم عن الأحساء في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي/ الرابع عشر الهجري)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000).

57 – عبدالهادي التازي: (أدب الرحلات: هل سيختفي من الساحة؟)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000).

58 – عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996).

59 – عمار السنجري: البدو بعيون غربية، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2008).

60 – عوض البادي: الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية (منطقة الجوف ووادي السرحان) 1845–1922، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2002).

61 – فاطمة حسن الصايغ: (الساحل المتصالح في كتابات المنصرين)، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996).

62 – فولني س. ف.: ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام، إدوار البستاني (ترجمة)، (بيروت: منشورات دار المكشوف، 1949).

63 – فؤاد شعبان: (أعمال الرحالة والمبشرين في العالم العربي 1800–1915 تحليل وصفي)، في كتاب: عبيد علي بن بطي (تحرير): كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 1996).

64 – فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، (القاهرة: الدار العربية للكتاب، 2002).

65 – فيليب حتى: العرب تاريخ موجز، (بيروت: دار العلم للملايين، 1991).

66 – كارستن نيبور: رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، محمود حسين الأمين (ترجمة)، (بغداد: شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، 1965).

67 – كارلـو كلاوديـو جوارماني: نجد الشمالي، رحلة من القدس إلى عُنيزة في القصيـم، أحمد إيبش (ترجمة)، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2009).

68 – لوثر شتاين: رحلة إلى شيخ قبيلة شمر مشعان الفيصل الجربا سنة 1962، قسم الترجمة في المؤسسة (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2011).

69 – لويس. اثبيتيـا دي مورس: البحث عن الحصان العربـي، مأمورية إلى الشرق: تركيا.. سورية.. العـراق.. فلسطين، عبدالله بن إبراهيم العمير (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 1428هـ).

70 – ليدي بيل: رسائل جيرتروود بيل 1899–1914، رزق الله بطرس (ترجمة)، (بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008).

71 – ليونهـارت راوولـف: رحلة المشرق إلى العـراق وسوريا ولبنان وفلسطين، سليم طه التكريتـي (ترجمة)، (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1977).

72 – ماكس فون أوبنهايم: من البحر المتوسط إلى الخليج: لبنان وسوريا، محمود كبيبو (ترجمة)، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2008).

73 – مجموعة من المؤلفين: رحالة أوروبيون في العراق، (لندن: دار الوراق للنشر المحدود، 2007).

74 – محمد بن عبدالهادي الشيباني: (أهداف الرحالة الغربيين في الجزيرة العربية)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000).

75 – محمـد شفيـق أفندي مصطفـى: رحلة في قلب نجد والحجاز سنة 1926، محمد محمود خليـل (تحقيق) (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010).

76 – محمد منصور: أدب الرحلات النبيلة، (الرياض: كتاب المجلة العربية، 1432هـ).

77 – محمد مؤنس أحمد عوض: الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1992).

78 – محمد مؤنس عوض: الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1995).

79 – محمـد مؤنـس عوض: الرحالـة الأوروبيون في العصـور الوسطى، (القاهرة: عـين للدراسات والبحوث الإنسانيـة والاجتماعية، 2004).

80 – محمد يوسف نجم: فن المقالة، (بيروت: دار الثقافة، 1966).

81 – ناصر عبدالرازق الموافي: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، (القاهرة: دار النشر للجامعات، 1999).

82 – نقولا زيادة: الجغرافية والرحلات عند العرب، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1987).

83 – نقولا زيادة: الرحالون المسلمون والأوربيون إلى الشرق العربي في العصور الوسطى، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2010).

84 – نـواب حميـد يار جونك بهادر: (رحلة إلى بغداد)، كاظم سعد الدين (ترجمة)، بغـداد بأقلام رحالة، (لندن: دار الوراق للنشر المحدودة، 2007).

85 – نيقولا سيوفي: رحلة نيقولا سيوفي 1873، اعتنى بنشرها تيسير خلف (دمشق: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2009).

86 – ويلفريد ثيسجر: الرمال العربية، (أبو ظبي: موتيف ايت للنشر، 1992).

87 – ويلفريد فيسجير: رحلة إلى عرب أهوار العراق، خالد حسن الياس (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006).

88 – ويليام ب. سيبروك: مغامرات في بلاد العرب، عارف حديفة ونبيل حاتم (ترجمة)، (دمشق: دار المدى للنشر والتوزيع، 2006).

89 – يحيى عبدالرؤوف جبر: (شمال شبه الجزيرة العربية في مصنفات الرحالة)، في كتاب دارة الملك عبدالعزيز: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، الجزء الأول، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 2000).

90 – يوليوس أوتينج: رحلة داخل الجزيرة العربية، سعيد بن فايز السعيد (ترجمة)، (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، 1999).

ثانياً: مقالات في دوريات

91 - أنجيل بطرس: (الرحلة في الأدب الإنجليزي)، مجلة الهلال، (يوليو 1975).

92 - جمال قطب: (جماليات الشرق في عيون الغرب) مجلة سطور، العدد الأول، (ديسمبر 1996).

93 - جمال محمود حجر: (رحلة ليدي آن بلنت إلى حائل)، مجلة تراث، العدد 121، (سبتمبر 2009).

94 - جمال محمود حجر: (الأرمن في رحلة نيبور)، مجلة أريك، العدد الثاني، (مايو 2010).

95 - جمال محمود حجر: (ليدي إستر ستانهوب في بلاد العرب)، مجلة تراث، العدد 127، (مارس 2010).

96 - جيل – جرفيه كورتلمون: (رحلتي إلى مكة 1894م) (2)، محمد خير البقاعي (ترجمة وتعليق)، مجلة العرب، الجزء 9، 10، السنة 37، (يونيو – يوليو 2002).

97 - حسن ناصر: (سائح يطوف العراق بصحبة زوجته الميتة)، جريدة الشرق الأوسط، العدد 9028، (الأحد 18 جمادى الثاني 1424هـ/ 17 أغسطس 2003م).

98 - حسين محمد فهيم: (المرأة والرحلة)، مجلة سطور، العدد 14 (يناير 1998).

99 - سارا سيرايت: (رحلة البرتغالي تاكسيرا إلى العراق في القرن السابع عشر)، فؤاد قزانجي (ترجمة)، مجلة المورد، المجلد 18، العدد الرابع (شتاء 1989).

100 - سلمان هادي آل طعمة: (كربلاء في مدونات الرحالة والأعلام)، مجلة ميزوبوتاميا، العدد 11 (نيسان 2007).

101 - سهيل صابان: (تصاريح السفر للرحالة المستشرقين إلى الجزيرة العربية من خلال الوثائق العثمانية)، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، المجلد 9، العدد 1، (2003).

102 - سيد حامد النساج: (أدب الرحلات في حياتنا الثقافية)، مجلة العربي، (يناير 1987).

103 - شريف يوسف: (اكتشافات الرواد والرحالين الغربيين في شبه الجزيرة العربية وأثر العرب في علم الجغرافية)، مجلة المورد، المجلد 11، العدد الثاني (صيف 1982).

104 - صلاح الدين الشامي: (الرحلة العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة الجغرافية)، مجلة عالم الفكر، المجلد 13، العدد 4، (يناير 1983).

105 - طارق نافع الحمداني: (الرحالة البرتغاليون في الخليج العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر)، مجلة الوثيقة، العدد 15، (يوليو 1989).

106 - عرفة عبده علي: (القاهرة القديمة في عيون فرنسية) مجلة سطور، العدد 7 (يونيو 1997).

107 - عبدالله المجيدل: (عُمان في أدب الرحالة)، مجلة التراث العربي، العدد 110، (سبتمبر 2008).

108 - عزة كرارة: (رحالة وسائحون في مصر) مجلة سطور، العدد الثاني، (يناير 1997).

109 - قيس جواد العزاوي: (النجف كما وصفها بعض المستشرقين الفرنسيين، الجزء الأول)، جريدة الجريدة، (13 أبريل 2006).

110 - كاظم الدجيلي: (السائح الغربي في العراق العربي)، مجلة لغة العرب، الجزء 7، السنة الثالثة (كانون الثاني 1914).

111 - مجلة سطور: (مصر في عيون الغرباء)، مجلة سطور، العدد 16، (مارس 1988).

112 - محمد علي هادي: (أضواء على الرحلات الفارسية القديمة إلى الديار المقدسة)، مجلة العرب، الجزء 1، 2 السنة 32 (نوفمبر، ديسمبر 1996).

113- محمد محمود الصياد: (الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر)، مجلة الدارة، العدد الثالث، (شوال 1397هـ).

ثالثاً: الأجنبية

114 – Annegret Nippa، Peter Herbstreuth: Along the Gulf from Basra to Muscat، Photographs by Herman Burchardt، (London: Verlag Hans Schiler، 2006).

115 – Lady Anne Blunt: Bedouin Tribes of the Euphrates، 2. Vol. (London: John Murray، 1879).

116 – Magdi Wahba: A dictionary of literary terms، (Beirut: Librairie du Liban، 1974).

قائمة كتاب المجلة العربية

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
1	الإسلام والغرب حوار.. لا صراع	د. سعيد عطية أبوعالي	محرم 1418هـ/ مايو 1997م	240
2	إساءة معاملة الأطفال تلمس الأسباب والظروف	د. عبدالعزيز بن عبدالله الدخيل	صفر 1418هـ/يونية1997م	241
3	أضرار الجوال بين الحقيقة والخيال	م. عبدالله بن حمد الكثيري	ربيع الأول 1418هـ/يوليو1997م	242
4	الأسلحة الكيميائية والجرثومية خطر في وجه الحضارة	د. عبدالعزيز بن علي الخضيري	ربيع الآخر 1418هـ/أغسطس1997م	243
5	من يشتري الضحك والفرح ؟!	عبد الله الجفري	جمادى الأولى 1418هـ/سبتمبر1997م	244
6	الملك عبدالعزيز ومراسلاته	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	جمادى الآخرة 1418هـ/اكتوبر1997م	245
7	دمج المعاقين مع الأطفال الأسوياء	د. فوزية أخضر	رجب 1418هـ / نوفمبر 1997م	246
8	المؤتمر العام السادس والمجلس التنفيذي الثامن عشر للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة	عبد الرحمن محمد	شعبان 1418هـ/ديسمبر1997م	247
9	أيام العار	جون سوين/ ترجمها منصور الخريجي	رمضان 1418هـ/يناير 1998م	248
10	الإنترنت تقنيات وخدمات	د. عبدالقادر بن عبدالله الفنتوخ	شوال1418هـ/فبراير1998م	249
11	الأكل الوسطي وحكاية هرمين	د. عدنان سالم باجابر	ذوالقعدة 1418هـ/ مارس1998م	250
12	الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله	د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي	ذو الحجة1418هـ/ ابريل1998م	251
13	الماء ثروة الحاضر.. وأمل المستقبل	د. أحمد عبدالقادر المهندس	محرم 1419هـ/يونيو1998م	252
14	المتقاعدون ووقت الفراغ	عبد العزيز بن علي الغريب	صفر1419هـ/يونيو1998م	253
15	فاعلية الأغذية الوارد ذكرها في القران الكريم	د. رافده الحريري	ربيع الأول 1419هـ/يوليو1998م	254
16	القاعدة والاستثناء في الإعلام والسياسة	د.فؤاد بن عبدالسلام الفارسي	ربيع الآخر 1419هـ/أغسطس1998م	255
17	الكتابة للأطفال لماذا ... ماذا نكتب وكيف ؟	محمد سعيد المولوي	جمادى الأولى 1419هـ/ سبتمبر 1998م	256
18	مسؤولية الإعلام في تأكيد الهوية الثقافية	د. ساعد العرابي الحارثي	جمادى الآخرة 1419هـ/اكتوبر1998م	257
19	الأيام الثقافية للجامعات السعودية في رحاب الجامعات المغربية	المجلة العربية	رجب 1419هـ/نوفمبر1998م	258
20	الفياجرا شاغلة العالم !	جلال محمد حمام	شعبان1419هـ/ديسمبر1998م	259
21	العمل الاجتماعي التطوعي في المملكة العربية السعودية	عبد الله العلي النعيم	رمضان1419هـ/يناير 1999م	260

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
22	قراءة في فكر الملك عبدالعزيز	بدر بن أحمد كريم	شوال 1419هـ/فبراير1999م	261
23	الجودة ومواصفة آيزو 9000	د. إبراهيم بن علي الخضير	ذو القعدة1419هـ/ مارس1999م	262
24	أرقامنا العربية الأصيلة	د. إبراهيم احمد مسلم الحارثي	ذوالحجة 1419هـ/ ابريل1999م	263
25	القلق (مرض العصر) كيف يعالجه القران ؟	د. زهير أحمد السباعي	محرم 1420هـ/مايو1999م	264
26	تعليم الفتاة بين التفرد والمحاكاة	د. علي بن مرشد بن محمد المرشد	صفر1420هـ/يونيو1999م	265
27	الشيخ ابن باز (يبكيك محراب يئن ومنبر)	المجلة العربية	ربيع الأول1420هـ/يوليو1999م	266
28	الإمارة وتنمية السياحة	الأمير خالد الفيصل	ربيع الآخر 1420هـ/ أغسطس999م	267
29	في تأهيل الأدب الإسلامي نحو رواية إسلامية	د. حلمي محمد القامود	جمادى الأولى1420هـ/سبتمبر1999م	268
30	الأدب المقارن في ضوء الرؤية العربية والإسلامية	محمود رداوي	جمادى الآخرة1420هـ/اكتوبر1999م	269
31	منظمة التجارة العالمية واستحقاقات العضوية	أ . أسامة بن جعفر فقيه	رجب 1420هـ/نوفمبر 1999م	270
32	مجلس التعاون الخليجي رؤية متابع	أحمد محمد سالم	شعبان1420هـ/ديسمبر1999م	271
33	الإسلام والغرب والدور السعودي في إقامة حوار بناء بينهما	د. عبدالعزيز بن إبراهيم السويل	رمضان1420هـ/يناير2000م	272
34	الترويح دوافعه- آثاره – ضوابطه	عبد الله بن ناصر السدحان	شوال1420هـ/فبراير 2000م	273
35	أمراض القلب والوقاية منها	أ.د. منصور محمد النزهة	ذوالقعدة1420هـ/فبراير2000م	274
36	العالم الإسلامي	محمد بن ناصر العبودي	ذو الحجة1420هـ/ ابريل2000م	275
37	ضياع الهوية في الفضائيات العربية	د. عائض الردادي	محرم1421هـ/مايو2000م	276
38	البلاستيك وصحة الإنسان	د. محيي الدين عمر لبنية	صفر1421هـ/مايو2000م	277
39	منهج التربية الإسلامية في ملء أوقات الفراغ	د. عثمان سيد أحمد خليل	ربيع الأول1421هـ/يونيو2000م	278
40	المرأة كيف عاملها الإسلام	الشيخ/حسن بن عبدالله آل الشيخ	ربيع الآخر1421هـ/يوليو2000م	279
41	الفكاهة في أدب الشيخ علي الطنطاوي	أحمد علي آل مريع	جمادى الأولى1421هـ/أغسطس2000م	280
42	مشكلة المياه وآفاق مستقبلها في المملكة العربية السعودية	أ.د. خالد بن عبدالرحمن الحمودي	جمادى الآخرة1421هـ/سبتمبر2000م	281
43	حقوق الإنسان في الإسلام	الشيخ/صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ	رجب1421هـ/اكتوبر2000م	282

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
44	الجاسر علاّمة وعلامة	د. عبدالله مناع	شعبان1421هـ/نوفمبر2000م	283
45	المردود الإيجابي للتفاعل التعليمي بين المعلم وطلابه	عبدالله بن مراد العطرجي	رمضان1421هـ/ديسمبر2000م	284
46	تجربة اليونسكو: دروس الفشل	د. غازي القصيبي	شوال1421هـ/يناير2001م	285
47	الفصيح مما أضاعه المشارقة وحفظه المغاربة	حماد بن حامد السالمي	ذوالقعدة1421هـ/فبراير2001م	286
48	صفحات من حياة الفقيد العلم الزاهد الشيخ محمد بن عثيمين	أ.د.عبدالله بن محمد بن أحمد الطيار	ذوالحجة1421هـ/مارس2001م	287
49	الصناعة السعودية عام 1430هـ(2010م) رؤية مستقبلية	م. عبدالله بن يحيى المعلمي	محرم1422هـ/أبريل2001م	288
50	مشكلة العنوسة الأسباب والعلاج	رفعت محمد طاحون	صفر1422هـ/مايو2001م	289
51	الطب الشعبي حقائق وخرافات	د. حسام الدين أبو السعود	ربيع الأول1422هـ/يونيو2001م	290
52	العربية لغة الوحي .. والوحدة	محمد عبدالشافي القوصي	ربيع الآخر1422هـ/يوليو2001م	291
53	حقيقة النوم وقفات وتأملات	يوسف محمد أبو عود	جمادى الأولى1422هـ/أغسطس2001م	292
54	دور المدرسة في تربية النشء وبناء المجتمع	د. علي بن مرشد المرشد	جمادى الآخرة1422هـ/سبتمبر2001م	293
55	مشكلات طفلك الصحية في عامه الأول وحلولها	د. محمد مصطفى السمري	رجب1422هـ/أكتوبر2001م	294
56	مفهوم العمل في الإسلام	حسين بن عبدالله بانبيله	شعبان1422هـ/نوفمبر2001م	295
57	الإسلام وأزمة الإنسان المعاصر	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	رمضان1422هـ/ديسمبر2001م	296
58	النظم العدلية الثلاثة (وزارة العدل)	أخرجه : عبدالقادر باقي زاده	شوال1422هـ/يناير2002م	297
59	الأديب عبدالكريم الجهيمان عطاء لا ينضب	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالقعدة1422هـ/فبراير2002م	298
60	الشخصية الإسلامية سمات وتحديات	طه محمد كسبه	ذوالحجة1422هـ/مارس2002م	299
61	الشعر والأخلاق في تراث العرب النقدي	د. جعفر حسن الشكرجي	محرم1423هـ/أبريل2002م	300
62	الشورى في النظام الإسلامي ومقارنتها بالنظم الأخرى	الشيخ محمد بن إبراهيم بن جبير	صفر1423هـ/يونيو2002م	301
63	من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب	د. حسن عزوزي	ربيع الأول1423هـ/يونيو2002م	302
64	مقاييس الجمال في تجربة العميان الشعرية	د. عبدالله بن أحمد الفيفي	ربيع الآخر1423هـ/يوليو2002م	303
65	تعليم اللغة الانجليزية في المملكة العربية السعودية	جاسم بن أحمد الجاسم	جمادى الأولى1423هـ/أغسطس2002م	304

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
66	اصطخاب المفردات كلام يدخل في التخاطب لا الخطب !!	أحمد بن عبدالرحمن العرفج	جمادى الآخرة1423هـ/سبتمبر2002م	305
67	الطب النبوي بين الإبداع الصحي والطب الوقائي	حسين محي الدين سباهي	رجب 1423هـ/أكتوبر2002م	306
68	العلاقة بين الرضا الوظيفي والأداء المهني للصحفيين	د. عبدالعزيز بن علي المقوشي	شعبان 1423هـ/نوفمبر2002م	307
69	من وسائل وأساليب التربية النبوية	د. صالح بن علي أبوعراد	رمضان1423هـ/نوفمبر2002م	308
70	من حلل الشعراء وحيلهم الفنية	حجاب بن يحيى الحازمي	شوال1423هـ/يناير2003م	309
71	الحب بين الأدب والطب	د. غالب خلايلي	ذوالقعدة1423هـ/فبراير2003م	310
72	شبهات وأباطيل حول الطلاق والرد عليها	رفعت محمد مرسي طاحون	ذوالحجة1423هـ/فبراير2003م	311
73	وقفات حول العولمة وتهيئة الموارد البشرية	أ.د.علي بن إبراهيم الحمد النملة	محرم1424هـ/مارس2003م	312
74	الأدب العربي في المملكة في عهد خادم الحرمين الشريفين	د. حسن بن فهد الهويمل	صفر1424هـ/ابريل2003م	313
75	الغذاء ودوره في تنمية الذكاء	د. نبيل سليم علي	ربيع الأول1424هـ/مايو2003م	314
76	الأديب محمد بن أحمد العقيلي لمحات من سيرته	مجاهد باعشن	ربيع الآخر1424هـ/يونيو2003م	315
77	جذور الحملة الإعلامية على الإسلام والسعودية وصراع الهويات	د. فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى1424هـ/يوليو2003م	316
78	أفكار في شعر الإمام الشافعي	عبدالله الجعيثن	جمادى الآخرة1424هـ/ أغسطس2003م	317
79	أهم أحداث المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها عام 1319هـ حتى 1424هـ	مساعد بن عبدالله الجنوبي	رجب1424هـ/سبتمبر2003م	318
80	أبو تراب الظاهري العالم الموسوعة أو سيبويه العصر	علوي طه الصافي	شعبان1424هـ/أكتوبر203م	319
81	وقفات مع الأستاذ عبدالله القرعاوي في ذكرياته	عبدالعزيز بن عبدالله السالم	رمضان1424هـ/نوفمبر2003م	320
82	المنهج العلمي في القران الكريم	محمد فيض الله الغامدي	شوال1424هـ/ديسمبر2003م	321
83	هل ينقرض الدبلوماسيون في حقبة العولمة؟	د. غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ذوالقعدة1424هـ/يناير2004م	322
84	الحوار بين الثقافات والحضارات ضرورة	إبراهيم نويري	ذوالحجة1424هـ/يناير2004م	323
85	المرأة في الفتوحات الإسلامية	عبدالله بن ناصر الحديب	محرم1425هـ/فيراير2004م	324
86	الأستاذ شيخ النقاد عبدالله عبدالجبار وماذا بعد عنه ؟!	عبدالله بن عبدالرحمن الجفري	صفر1425هـ/أبريل2004م	325
87	حسن صيرفي قراءة في جغرافية إنسان	محمد الدبيسي	ربيع الأول1425هـ/مايو2004م	326

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
88	العبقرية وأسسها الأربعة	فهد بن عامر الأحمدي	ربيع الآخر1425هـ/يونيو2004م	327
89	الإدارة الإلكترونية وتطبقاتها أنموذج إداري جديد	د. محمد حسن مفتي	جمادى الأولى1425هـ/يوليو2004م	328
90	مواجهة الفقر المشكلة وجوانب المعالجة	أ.د. علي بن إبراهيم النملة	جمادى الآخرة1425هـ/ أغسطس2004م	329
91	مكامن الخلل في العملية التربوية	عبيد بن عبدالله السويهري	رجب1425هـ/سبتمبر2004م	330
92	التجربة المعاصرة للتنظيم الإداري بالمملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1425هـ/أكتوبر2004م	331
93	الوسائل المفيدة للحياة السعيدة	الشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي	رمضان1425هـ/نوفمبر2004م	332
94	الإعجاز الطبي في القران والسنة والجديد في علم الطب	د. حسان شمسي باشا	شوال1425هـ/ديسمبر2004م	333
95	أهمية حماية الهواء وطبقة الأوزون من أخطار التلوث	د. محمود درويش	ذوالقعدة1425هـ/يناير2005م	334
96	العمل برؤية إيمانية	علي مدني الخطيب	ذوالحجة1425هـ/فبراير2005م	335
97	منهج الجدل وآداب الحوار في الفكر الإسلامي	أ.د.بركات محمد مراد	محرم1426هـ/فبراير2005م	336
98	الأسبرين حكاية بلا نهاية	د. محيى الدين عمر لبنيه	صفر1426هـ/مارس2005م	337
99	أحمد السباعي رائد الأدب والصحافة المكية	محمد عبدالرزاق القشعمي	ربيع الأول1426هـ/أبريل2005م	338
100	إطلالة على المشهد الثقافي في المملكة العربية السعودية	حسين محمد بافقيه	ربيع آخر1426هـ/مايو2005م	339
101	ذاكرة العراق التاريخية والحضارية	علوي طه الصافي	جمادى الأولى1426هـ/يونيو2005م	340
102	أم القرى خصوصية المكان والعمران	د.م. يحيى حسن وزيري	جمادى الآخرة1426هـ/يوليو2005م	341
103	الحفاظ على البيئة من منظور إسلامي	عبدالعزيز بن سعد الدغيثر	رجب1426هـ/أغسطس2005م	342
104	الدور الأمني للمؤسسات التربوية والثقافية	أ. حجاب بن يحيى الحازمي	شعبان1426هـ/سبتمبر2005م	343
105	الضمانات الشرعية لحماية الأسرة في الإسلام	علي مدني رضوان الخطيب	رمضان1426هـ/أكتوبر2005م	344
106	الأدب الوجداني إبداع وفرسان	فوزي خياط	شوال1426هـ/نوفمبر2005م	345
107	الإدارة السوية وحمايتها من الضغوط الحياتية	أ.د. نبيل سليم علي	ذوالقعدة1426هـ/ديسمبر2005م	346
108	الحج :أحكام وأسرار قراءة تأملية في شعائر الحج ومناسكه	سالم بن عبدالله الشهري	ذوالحجة1426هـ/يناير2006م	347
109	جمع الجواهر في الملح والنوادر	د.عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	محرم1427هـ/فبراير2006م	348

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
110	مكة المكرمة أهمية الدور والمكان	د.عمر بن يحيى محمد	صفر1427هـ/مارس2006م	349
111	الإبداع والتحديث في فكر سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد 1329/1402هـ	د. صالح بن عبدالله بن حميد	ربيع الأول1427هـ/أبريل2006م	350
112	الزمان يزور المكان	د.غازي بن عبدالرحمن القصيبي	ربيع الآخر1427هـ/مايو2006م	351
113	رثاء الزوجة في الشعر العربي الحديث	حسني سيد لبيب	جمادى الأولى1427هـ/يونيو2006م	352
114	مشاعر أب في رسائل حرّى	د، إبراهيم بن مبارك الجوير	جمادى الآخرة1427هـ/يوليو2006م	353
115	رؤية في الفساد والجريمة	سليمان بن محمد الجريش	رجب1427هـ/أغسطس2006م	354
116	الحكومة الإلكترونية دراسة للتجربة التقنية المعلوماتية في المملكة العربية السعودية	حسن بن محمد الشيخ	شعبان1427هـ/سبتمبر2006م	355
117	آفاق المناجاة في شعر الدكتور سعد بن عطيه الغامدي	علي بن محمد العمير	رمضان1427هـ/أكتوبر2006م	356
118	الفقه الإسلامي أهميته والعناية بمصادره وأهله	د،عبدالله بن عبدالمحسن التركي	شوال1427هـ/نوفمبر2006م	357
119	المستشرقون بين الوفاء والافتراء	رفعت محمد طاحون	ذوالقعدة1427هـ/ديسمبر2006م	358
120	نحو خطاب لساني نقدي عربي أصيل	فاتح زيوان	ذوالحجة1427هـ/يناير2007م	359
121	المواقع الأثرية والتراث الثقافي بالمملكة العربية السعودية	ناصر بن محمد الحميدي	محرم1428هـ/فبراير2007م	360
122	الطائفية والتفكيك بعد سقوط بغداد	د . عايض الردادي	صفر1428هـ/مارس2007م	361
123	شنين الدموع	د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر	ربيع الأول1428هـ/أبريل2007م	362
124	وميض من قبس الإسلام	د. رافدة بنت عمر الحريري	ربيع الآخر1428هـ/مايو2007م	363
125	الثوابت والمتغيرات في المجتمع السعودي	الأمير الدكتور فيصل بن مشعل بن سعود ابن عبدالعزيز آل سعود	جمادى الأولى1428هـ/يونيو2007م	364
126	هاملتون جيب وكتابة الاتجاهات الحديثة في الإسلام	زكي بن عبدالله الميلاد	جمادى الآخرة1428هـ/يوليو2007م	365
127	لمحات في التربية الإسلامية	بهاء الدين عبدالله الزهوري	رجب1428هـ/أغسطس2007م	366
128	موقع العقل في ظل التشريع	رغداء محمد زيدان	شعبان1428هـ/سبتمبر2007م	367
129	الإسلام بين العالمية والعولمة	د . خالد احمد حربي	رمضان1428هـ/أكتوبر2007م	368
130	مقدمة في الشعر الياباني	علاء الدين رمضان	شوال1428هـ/نوفمبر2007م	369
131	الترجمة رؤية في الواقع العربي	د. محمد بن عبدالله العبد اللطيف	ذوالقعدة1428هـ/ديسمبر2007م	370

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
132	من سجن الأسطورة إلى رحم التاريخ	د فاطمة الياس	ذوالحجة1428هـ/يناير2008م	371
133	مفهوم الشعر عند ابن سينا	علي العلوي	محرم1429هـ/يناير2008م	372
134	اغتراب الثقافة الكل عن المجتمع الكيان	د علي بن حمد الخشيبان	صفر1429هـ/فبراير2008م	373
135	الأغذية المعدلة وراثيا مالها وما عليها	د عبدالعزيز بن ابراهيم العثيمين	ربيع الأول1429هـ/مارس2008م	374
136	النحو في عصر العولمة	د. فالح بن شبيب العجمي	ربيع الآخر1429هـ/أبريل2008م	375
137	تقاليد الكرم عند العرب	محمد السموري	جمادى الأولى1429هـ/مايو2008م	376
138	الكنتية خطاب السيرة الذاتية	أحمد علي آل مريع	جمادى الآخرة1429هـ/يونيو2008م	377
139	من تراثنا الحديث في اللغة والفكر والحضارة	عبد الله العلايلي وآخرون	رجب1429هـ/يوليو 2008م	378
140	ثقافة التعليم الالكتروني	د.زكريا يحيى لال	شعبان1429هـ/أغسطس2008م	379
141	الصحافة المطبوعة في عصر الملتيميديا	د. عثمان بن محمود الصيني	رمضان1429هـ/سبتمبر2008م	380
142	التجربة الشعرية الجديدة في السعودية	د. عالي بن سرحان القرشي	شوال1429هـ/اكتوبر2008م	381
143	المصطلح الإيقاعي في التراث الأدبي /القافية نموذجا	فريد محمد أمعضشو	ذوالقعدة1429هـ/نوفمبر2008م	382
144	معركة الشعر المنثور في الصحافة السعودية قبل نصف قرن	محمد بن عبدالرزاق القشعمي	ذوالحجة1429هـ/ديسمبر2008م	383
145	رواد الغناء في الجزيرة العربية من الشفوية إلى التسجيل	أحمد الواصل	محرم 1430هـ/يناير 2009م	384
146	قراءة في الظواهر التمثيلية العربية	سامي عبداللطيف الجمعان	صفر 1430هـ/فبراير 2009م	385
147	الأدب في البرازيل رؤية ومختارات	د . رشا احمد إسماعيل	ربيع الأول1430هـ/مارس2009م	386
148	أدب المدونات	شاكر لعيبي	ربيع الآخر1430هـ/أبريل2009م	387
149	الثقافة الأفقية وموت النخبة	د فهد العرابي الحارثي	جمادى الأولى1430هـ/مايو2009م	388
150	رحلة الأدب العربي الحديث إلى الإنجليزية	د.موسى أحمد الحالول	جمادى الآخرة1430هـ/يونيو2009م	389
151	مترجمو ألف ليلة وليلة	سيلفانا الخوري	رجب1430هـ/يوليو 2009م	390
152	رحلة الكتاب في الحضارة الإسلامية	محمد رجب السامرائي	شعبان1430هـ/أغسطس2009م	391
153	النسبية وما بعدها (ألبرت آينشتاين ،ستيفن ،مايكل)	د.عبدالله نعمان الحاج	رمضان1430هـ/سبتمبر2009م	392

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
154	مذكرات أبي القاسم الشابي	د. نور الدين صمود	شوال1430هـ/اكتوبر2009م	393
155	العولمة والأدب العربي المعاصر	د.أسامة محمد البحيري	ذوالقعدة1430هـ/نوفمبر2009م	394
156	مالك بن نبي في ذاكرة عبدالسلام الهراس	د . محمد البنعيادي	ذوالحجة1430هـ/ديسمبر2009م	395
157	رحلة إلى الحجاز	إبراهيم عبدالقادر المازني	محرم 1431هـ/يناير 2010م	396
158	قصائد أعجبتنا من غازي القصيبي	غازي بن عبدالرحمن القصيبي	صفر 1431هـ/فبراير 2010م	397
159	البيروقراطية وإدارة المعرفة	د عبدالله مسفر الوقداني	ربيع الأول1431هـ/مارس2010م	398
160	النص السردي الأندلسي مداخل لقراءة جديدة	إبراهيم الحجري	ربيع الآخر1431هـ/أبريل2010م	399
161	أوراق منير العجلاني	منير العجلاني	جمادى الأولى1431هـ/مايو2010م	400
162	الألعاب في النظرية الأدبية	فارغا سلطان ترجمة عثمان الجبالي	جمادى الآخرة1431هـ/يونيو2010م	401
163	عالم الكتابة القصصية للطفل	عبد الباقي يوسف	رجب1431هـ/يوليو 2010م	402
164	أثر المرجعية الفكرية في تحليل الخطاب اللغوي	فاتح زيوان	شعبان1431هـ/أغسطس2010م	403
165	بدر الكبرى المدينة والغزوة	د. محمد عبده يماني	رمضان1431هـ/سبتمبر2010م	404
166	في الفكر الخلدوني	يوسف الحناشي	شوال1431هـ/اكتوبر2010م	405
167	ميغيل آسين بلاثيوس رائد الاستعراب الاسباني المعاصر	محمد عبدالرحمن القاضي	ذوالقعدة1431هـ/نوفمبر2010م	406
168	الشعر في المدينة المنورة بين القرنين 12-14هـ	د . عاصم حمدان	ذوالحجة1431هـ/ديسمبر2010م	407
169	الرواية العربية والفنون السمعية البصرية	د . حسن لشكر	محرم 1432هـ/يناير 2011م	408
170	بدايات تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية	محمد عبدالرحمن القشعمي	صفر 1432هـ/فبراير 2011م	409
171	التحيز العربي للنقد الغربي	د.علي حمادي صديقي	ربيع الأول1432هـ/فبراير2011م	410
172	اليد واللسان	عبدالله محمد الغذامي	ربيع الآخر1432هـ/أبريل2011م	411
173	علم الحوار الاسلامي	د خالد أحمد حربي	جمادى الأولى1432هـ/مايو2011م	412
174	الموسوعات الفردية	د علي ابراهيم النملة	جمادى الآخرة1432هـ/يونيو2011م	413
175	تاريخ الهايكو الياباني	ريو يوتسويا ترجمة سعيد بوكرامي	رجب1432هـ/يونيو2011م	414

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
176	أدب الرحلات النبيلة	محمد منصور	شعبان1432هـ/يونيو2011م	415
177	الحطاب الافتتاحي في القران الكريم	د عبدالملك أشهبون	رمضان1432هـ/أغسطس2011م	416
178	السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم	أحمد علي آل مريع	شوال1432هـ/سبتمبر2011م	417
179	الجاحظ في مرآة أبي حيان	ابراهيم صبري راشد	ذوالقعدة1432هـ/أكتوبرر2011م	418
180	الإسلام وحقوق الانسان	زكي الميلاد	ذوالحجة1432هـ/نوفمير2011م	419
181	التراث العلمي العربي وقاماته	صلاح الشهاوي	محرم 1433هـ/ديسمبر 2011م	420
182	حساسية الوائي وذائقة المتلقي	عبدالباقي يوسف	صفر1433هـ/يناير2012م	421
183	وفيات المثقفين 2011	المجلة العربية	ربيع الأول1433هـ/فبراير2012م	422
184	الإسهام الإسلامي في التجديد الفلسفي للقرن 12م	خواكين لومبا فوينتيس	ربيع الآخر1433هـ/مارس2012م	423
185	في ثياب الاعرابي الأصمعي إمام الأنثروبولوجيا العربية	فاضل الربيعي	جمادى الأولى1433هـ/ابريل2012م	424
186	شعر الجن في التراث العربي	د. عبدالله سليم الرشيد	جمادى الآخرة1433هـ/مايو2012م	425
187	رندة الإسلامية أمنع حصون الأندلس الجنوبية	محمد القاضي	رجب1433هـ/يونيو2012م	426
188	مديح الأسئلة الصعبة ألغاز العلم المحيرة	د. عبدالله الحاج	شعبان1433هـ/يوليو2012م	427
189	فرق العمل العلمية في الحضارة الاسلامية	د . خالد أحمد الحربي	رمضان1433هـ/أغسطس2012م	428
190	موجز تاريخ الأدب الأمريكي	كارثرين فان سباكرن	شوال1433هـ/سبتمبر2012م	429
191	المشكلات الفلسفية عند ابن حزم والبصري وابن رشد	د. بركات محمد مراد	ذوالقعدة1433هـ/أكتوبر2012م	430
192	السيرة لعبة الكتابة	خالد فؤاد طحطح	ذوالحجة1433هـ/أكتوبر 2012م	431
193	آراء إخوان الصفا وخلان الوفا إعجاب وعجب	د. رشيد الخيون	محرم 1434هـ/ديسمبر 2012م	432
194	كتابات السياب النثرية	د . حسن الغرفي	صفر1434هـ/يناير2013م	433
195	عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم	عباس محمود العقاد	ربيع الأول1434هـ/فبراير2013م	434
196	ابن رشد وشوق المعرفة	د . بنسالم حميش	ربيع الآخر1434هـ/مارس2013م	435
197	اللغة هوية ناطقة	د . عبدالله البريدي	جمادى الأولى1434هـ/ابريل2013م	436

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
198	شعر الموسوسين في العصر العباسي	د.عبدالمجيد الإسداوي	جمادى الآخرة1434هـ/مايو2013م	437
199	الشعر والنثر في التراث البلاغي والنقدي	عبداللطيف الوراري	رجب1434هـ/يونيو2013م	438
200	أثر الكوارث الطبيعية في المجال الاقتصادي بالمغرب	د. عبدالهادي البياض	شعبان1434هـ/يوليو2013م	439
201	الاستشراق بين منحنيين النقد الجذري أو الإدانة	د. علي إبراهيم النملة	رمضان1434هـ/أغسطس2013م	440
202	سجع المنثور لأبي منصور الثعالبي(350-429هـ)	د. أسامة محمد البحيري	شوال1434هـ/سبتمبر2013م	441
203	العشاق الثلاثة	د. زكي مبارك (1892-1952)	ذوالقعدة1434هـ/سبتمبر2013م	442
204	أسس العلوم الحديثة في الحضارة الإسلامية	د . خالد حربي	ذو الحجة1434هـ/أكتوبر2013م	443
205	الفلسفة في فكر ابن تيمية جدل النص والتاريخ	د. أحمد محمد سالم	محرم1435هـ/نوفمبر 2013م	444
206	السينما والجذور	ترجمة خالد أقنعي	صفر1435هـ/ديسمبر2013م	445
207	الموروث الشعبي في السرد العربي	محمد عزيز العرفج	ربيع الأول1435هـ/يناير2014م	446
208	الطب والأدب علائق التاريخ والفن	د. عبدالله سليم الرشيد	ربيع الآخر1435هـ/فبراير2014م	447
209	أبو عمر أحمد بن حربون	د. عبدالله بن علي بن ثقفان	جمادى الأولى1435هـ/مارس2014م	448
210	المرجعية والمنهج دراسة نظرية تطبيقية	د. أحمد مرزاق	جمادى الآخرة1435هـ/أبريل2014م	449
211	اللغة الشاعرة	عباس محمود العقاد	رجب1435هـ/مايو2014م	450
212	ظاهرة التداخل الشعري في المصادر العربية	د. عبدالرزاق حويزي	شعبان1435هـ/يونيو2014م	451
213	رمضان ذاكرة الزمان والمكان	محمد رجب السامرائي	رمضان1435هـ/يوليو2014م	452
214	القدس الشريف في الاستشراق اليهودي	د محمد رضوان	شوال1435هـ/أغسطس 2014م	453
215	الإبداع والنبوغ	د محمد فتحي	ذوالقعدة1435هـ/سبتمبر2014م	454
216	الرحلة الى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج1)	أحمد محمود أبوزيد	ذو الحجة1435هـ/أكتوبر2014م	455
217	نصوص النقد الأدبي لدى حماد الراوية	د الحسين زروق	محرم 1436هـ/نوفمبر2014م	456
218	الحسن بن الهيثم ومآثره العلمية	د أحمد فؤاد باشا	صفر 1436هـ/ديسمبر2014م	457
219	النص الرقمي وإبدالات النقل المعرفي	د محمد مريتي	ربيع الأول 1436هـ/يناير2015م	458

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
220	المناخ والمجتمع	د عبدالهادي البياض	ربيع الآخر 1436هـ/فبرايرر2015م	459
221	الفنون الأدائية والمستقبل نحو ذاكرة الغناء السعودي	أحمد الواصل	جمادى الأولى 1436هـ/مارس2015م	460
222	الإنسان القروسطي	إبراهيم الحجري	جمادى الأخرة 1436هـ/ابريل2015م	461
223	الاسْتِغْرَاب: الْمَنْهَجُ فِي فَهْمِنا الْغَرْبِ	د. علي النملة	رجب 1436هـ/ مايو 2015م	462
224	فن الترسل العربي قديما وحديثا	عبدالقادر بنعبدالله /عبدالحميد أسقال	شعبان 1436هـ/يونيو 2015م	463
225	أبو الطيب المتنبي	عباس العقاد	رمضان 1436هـ/ يوليو 2015م	464
226	الخيال وشعريات المتخيل	د.محمد الديهاجي	شوال 1436هـ/ أغسطس 2015م	465
227	فن التأويل	ترجمة: محمد احمد عثمان	ذو القعدة 1436هـ/ سبتمبر 2015م	466
228	الرحلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة (ج2)	أحمد أبو زيد	ذو الحجة1436هـ/ أكتوبر 2015م	467
229	نظرات في الشعر العربي	أحمد بن سليمان اللهيب	محرم1437هـ/ نوفمبر 2015م	468
230	عدسة التاريخ	أسامة سليمان الفليّح	صفر 1437 هـ - ديسمبر 2015	469
231	مقاربات علمية للمقاصد الشرعية	د. أحمد فؤاد باشا	ربيع الأول 1437 هـ - ديسمبر 2015	470
232	وفيات 2015	هاني الحجي	ربيع الآخر 1437 هـ - يناير 2016	471
233	أحمد مشاري العدواني من الأزهر الشريف إلى ريادة التنوير	حمد عبدالمحسن الحمد	جمادى الأولى 1437 هـ - فبراير 2016	472
234	مساجلات نقدية في الثقافة العربية المعاصرة	محمد القاضي	جمادى الآخرة 1437 هـ - مارس 2016	473
235	الشيخ الرئيس أبوعلي ابن سينا (توثيق ببليوجرافي)	د. أمين سليمان سيدو	رجب 1437 هـ - أبريل 2016	474
236	لغات جنوب الجزيرة العربية	عبدالرزاق القوسي	شعبان 1437 هـ - مايو 2016	475
237	شهر لا مثيل له	علاء الدين حسن	رمضان 1437 هـ - يوليو 2016	476
238	الجذور التاريخية لأدب الأطفال عند العرب	د. محمود إسماعيل آل عمار	شوال 1437 هـ - يوليو 2016	477
239	الترجمة العربية من مدرسة بغداد إلى مدرسة طليطلة	د. حسن بحراوي	ذو القعدة 1437 هـ - أغسطس 2016	478
240	فن كتابة القصة المصورة (comics)	صفية خالد المزيني	ذو الحجة 1437 هـ - سبتمبر 2016	479
241	هكذا تكلم رجاء جارودي	نادية المديوني	محرم 1438 هـ - أكتوبر 2016 م	480

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ	رقم العدد
242	مقالات الرافعي المجهولة في اللغة والأدب	وليد عبدالماجد كساب	صفر 1438 هـ - نوفمبر 2016 م	481
243	الترجمة وتحريف الكلم	محمد خير محمود البقاعي	ربيع الأول 1438 هـ -ديسمبر 2016م	482
244	التعلم المنظم ذاتياً	إبراهيم بن عبدالله الحسينان	ربيع الآخر 1438هـ -يناير 2017م	483
245	حركة التأليف والنشر الأدبي في المملكة العربية السعودية	خالد بن أحمد اليوسف	جمادي الأولى 1438 هـ - فبراير 2017 م	484
246	طيءٌ الجبلان: أجا وسلمى	د. فضل عمار العماري	جمادي الآخرة 1438 هـ مارس 2017 م	485
247	محمد بن الحسن الشيباني: الإمام العبقري	د. هشام بن عبدالملك بن دهيش	رجب 1438 هـ - أبريل 2017 م	486
248	منازل النص الأدبي: مقترح النص الشعري	د. إيهاب النجدي	شعبان 1438 هـ - أبريل 2017 م	487
249	مقالات الرافعي المجهولة (ج2)	وليد عبدالماجد كساب	رمضان 1438 هـ - يونيو 2017 م	488
250	السرقات الشعرية والتناص	إبراهيم بن سعد الحقيل	شوال 1438 هـ - يوليو 2017 م	489
251	وديع فلسطين حكايات دفتري القديم	صلاح حسن رشيد	ذو القعدة 1438 هـ - أغسطس 2017 م	490
252	الخط العربي	د. علي عفيفي علي غازي	ذو الحجة 1438 هـ - سبتمبر 2017 م	491
253	أميون شعراء فصحاء	د. أحمد بلحاج آية وارهام	محرم 1439 هـ أكتوبر 2017 م	492
254	أحمد ذكي باشا ومخطوطات الإسكوريال	د. رشيد العفاقي	صفر 1439 هـ نوفمبر 2017 م	493
255	خطاب الرحلة المغربية إلى الحجاز	د. الحسن الغشتول	ربيع الأول 1439 هـ - ديسمبر 2017 م	494
256	مصادر القانون الدولي العام	د. هشام بن عبدالملك بن دهيش	ربيع الآخر 1439 هـ - يناير 2018 م	495
257	مَجمعيّات أحمد حسن الزيات	صلاح حسن رشيد	جمادى الأولى 1439 هـ - فبراير 2018 م	496
258	السيرة الذاتية في التراث العربي	د. أسامة محمد البحيري	جمادى الآخرة 1439 هـ - مارس 2018 م	497
259	مسرح الطفل	عبدالعزيز بن عبدالرحمن السماعيل	رجب 1439 هـ - أبريل 2018 م	498
260	الحدث ووسائل الإعلام	خالد طحطح	شعبان 1439 هـ - مايو 2018 م	499
261	الزوجان العالمان	أحمد إبراهيم العلاونة	رمضان 1439 هـ - يونيو 2018 م	500

عندما أدرك الإنسان أنه لا غنى له عن تدوين مسيرته الحضارية نشأ ما أُصطلح عليه بـ(المعرفة التاريخية)، ومن ثم نشأ علم التاريخ في محاولة لكشف غموض الماضي، وتطور المسيرة البشرية، ومنذ أدرك الإنسان، واكتشف أن العالم الذي يعيش فيه مترامي الأطراف، متنوع الأعراق، متباين الألسن واللغات، متعدد الثقافات والحضارات، غنيّ في تقاليد أقوامه وغرائب طبائع شعوبه، كان عليه أن يرتحل ليكتشف ذلك كله، يدفعه فضول المعرفة وطلب العلم حيناً، وشوق المغامرة والسفر لرؤية بقاع جديدة حيناً آخر.

وهذا الكتاب يسلط الضوء على كتابات الرحالة التي أضحت فيما بعد أدباً مستقلاً بذاته، متميزاً عن غيره من الآداب الأخرى كما سنرى.